الفصل الثالث

أنواع التربية المطلوبة

لتربية جيل على نمط الصحابة رضي الله عنهم

[١] التربية العقائدية

فأول ما يجب أن يتربى عليه الشاب المسلم العقيدة الصحيحة، وهي العقيدة السلفية التي مضى عليها سلف الأمة رضي الله عنهم، فقد جعل الله - عَزَّ وَجَلَّ - عقيدة الصحابة رضي الله عنهم هي المقياس للعقيدة الصحيحة، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وبين - عَزَّ وَجَلَّ - أن غاية خلق الجن والإنسان إفراد الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالعبادة ومعرفته -عَزَّ وَجَلَّ - فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

كما بين - عَزَّ وَجَلَّ - أن غاية الرسل وهدفهم تعبيد الناس لله - عَزَّ وَجَلَّ - فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: «يَا مُعاذ مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»[(١)].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٨) «الجهاد»، ومسلم (١/ ٢٣٠-٢٣٢) «الإيمان».

obeikandl.com

وأول أمر في كتاب الله أمر بالتوحيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

وما أتى الأمر بالتوحيد في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو في سنة رسوله ﷺ مع مجموعة من الأوامر إلا كان الأمر بالتوحيد أول الأوامر.

وما أتى النهي عن الشرك مع مجموعة من النواهي في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو سنة رسوله ﷺ إلا كان النهي عن الشرك هو أول النواهي، فما أمرت الرسل بشيء قبل التوحيد، وما نهت عن شيء قبل الشرك.

ولما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تَأْتِي قَوامًا أَهْلِ كِتَابٍ لِيَكُن أَوّل ما تَدْعُوهم إِلَيْهِ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله فإذا هُم عَرَفُوا الله فَأَخْبِرهُم أَنَّ الله افْتَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كل يَوْمٍ وَلَيْلَة»[1] الحديث.

وهذا ربعي بن عامر أحد تلامذة رسول الله ﷺ يلخص رسالة الدعاة في كل زمان ومكان فيقول: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن تشتمل على نوع واحد من التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، وكذا آية الكرسي وهي أعظم آية في كتاب الله ليس فيها إلا صفة الرب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

فكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد، وتربي أبناءها عليه، وتسقيهم العقيدة الصحيحة فهي دعوة على غير هدى المرسلين، فتقسيم بعض الناس أمور الدين إلى قشر ولباب قبيح، وأقبح منه اعتبار أمور العقيدة والاهتمام بها من القشور التي تعامل عندهم بالإهمال والطرح.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٦٦١، ٦٦٢) «المغازي»، ومسلم رقم [١٩] «الإيمان».

فهذه إشارة سريعة إلى أهمية التوحيد والتربية العقائدية، ولا ينبغي أن نفهم أن المراد بالتوحيد هنا توحيد الصانع، كما تفهم ذلك المعتزلة، أو التوحيد بمعنى اعتقاد وحدة الوجود والحلول كما تعتقد غلاة الصوفية، وإنما نقصد بالتوحيد ما علمنا إياه رسول الله ﷺ، ومضى عليه سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم، ومعرفة الإله الواحد هو صلب هذا العلم حسب ما عرفنا الله - عَزَّ وَجَلَّ - بنفسه، وما عرفنا به رسوله ﷺ، وعلم التوحيد هو أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم.

وعلم التوحيد هو علم العقيدة، والعقيدة بمعنى الإيمان، والإيمان هو التصديق الجازم بلا شك ولا ريبة ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أصول: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأصول الستة هي التي أرسل الله - عَزَّ وَجَلَّ - بها نبيه محمدًا ﷺ وكل رسول قبله كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى»(١).

يقول الدكتور أنس كرزون: ولذلك كان الموضوع الأساسي في القرآن هو التوحيد، وكانت آيات القرآن تنزل في مكة المكرمة سنوات طويلة لتثبيت هذه العقيدة في القلوب، والرد على المعاندين الذين انحرفوا عنها، وقد ألزم الله المشركين بما أقروا به من الاعتراف بأن الله هو الخالق سبحانه فأقام الحجة عليهم بوجوب توحيده سبحانه وإفراده بالعبادة والطاعة، وأظهر عجز آلهتهم المزعومة، وأنها لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، وأن ما يحوط الإنسان من النعم إنما هو من عند الله سبحانه.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٤٤٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

كما أن آيات القرآن الكريم حافلة بالرد على أهل الكتاب الذين نسبوا لله الولد وغيرهم من أصناف الملحدين والمشركين، وإلزامهم الحجة بما لا يستطيعون إنكاره، من بديع صنع الله واستقامة نظام الكون، وعدم اضطرابه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]

وقال سبحانه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وأبرز ما ترتكز عليه آيات القرآن الكريم في تثبيت عقيدة التوحيد إيقاظ الفطرة فالإنسان إذا انطمست فطرته وأظلم قلبه انحرف عن التوحيد، وادعى الاستغناء عن خالقه فإذا ألمت به الشدائد وأيقن بالهلاك لجأ إلى الله وحده وأخلص التوجه إليه بالدعاء، وأظهر افتقاره وتذلله لخالقه سبحانه، وسرعان ما ينكص على عقبيه، ويبتعد عن خالقه بمجرد زوال الخطر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

ويقول عبد الله ناصح علوان: إن مسئولية التربية الإيمانية[١] لدى المربين والآباء

(١) يقصد بالتربية الإيمانية هنا العقائدية، وقد أطلقنا في هذا البحث اسم التربية الإيمانية على الارتقاء بالأحوال الإيمانية للشباب.

والأمهات لهي مسئولية هامة وخطيرة، لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام، وبدون هذه التربية. لاينهض الولد بمسئولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى، وهدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم، ليس له هم سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين، وعندئذ يكون من الزمرة الكافرة، والفئة الإباحية الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [مُحَمَّد: ١٢]

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي منه جانب العقيدة.. وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية هو أسلوب المربي الأول – صلوات الله وسلامه عليه –، حيث كان يسعى دائمًا إلى أن يوجه الأولاد إلى ما يرفع من شأنهم ويرسخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم، وإليك أخي القارئ – بعض النماذج من توجيهه وأسلوبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فقال: «يا غُلَامُ إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، وَإِنْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[(١)].

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٦٣، ١٦٤) ط. دار السلام، والحديث رواه أحمد (٤/ ٢٨٦، ٢٨٨)، والترمذي (٩/ ٣١٩، ٣٢٠ عارضة) «أبواب القيامة»، وقال: حسن صحيح وحسنه الحافظ ابن رجب من طريق حنش.

فقد كان النبي ﷺ ينقي قلوب الصحابة وجوارحهم من الشرك الجلي والخفي، ويربيهم على التوحيد الخالص، ويعرفهم بربهم الذي خلقهم ورزقهم، حتى صار الصحابة الكرام أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا.

وهذه أمثلة من سيرة النبي ﷺ تبين هذه التربية العالية، لهذه الأمة الغالية. عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر - وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرةٍ، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بيده كما قالت بنو إِسْرَائِيلَ لموسى ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قَبْلَكُمْ»(١).

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل: فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال أَصْبَحَ من عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا من قال مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا من قال: مُطرنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ»(٢).

ومن ذلك ما رواه في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولًا: «أَنْ لاَ يَبْقَيَنَّ في رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلاَدَةٌ إِلاَّ قُطِعَتْ»(٣).

(١) رواه الترمذي (٩/ ٢٧، ٢٨ عارضة) «الفتن»، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ٢١٨) وابن أبي عاصم في «السنة» [٧٦]، وعبد الرزاق [٢٠٧٦٣] وغيرهم، وحسنه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٢/ ٣٣٣) «صفة الصلاة»، ومسلم (٢/ ٥٩، ٦٠) «الإيمان»، ومالك (١/ ١٩٢) «الاستسقاء».

(٣) رواه البخاري (٦/ ١٤١) «الجهاد»، ومسلم (١٤/ ٩٥) «اللباس»، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٣٧) «صفة النبي ﷺ»، والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ٢٦، ٢٧)، وقال مالك: «أرى ذلك من العين».

وعن عقبة بن عامر مرفوعًا: «من تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلاَ أَتَمَّ الله له، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ الله له»(١).

ومن ذلك ما رواه مسلم عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لَعَنَ الله من ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، لَعَنَ الله من لَعَنَ وَالِدَيه، لَعَنَ الله من آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ الله من غَيّر مَنَارَ الأَرْضِ»(٢).

وعن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»(٣).

كما حرم ﷺ الشرك الأصغر، فقال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(٤).

وقال ﷺ: «لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَان، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمّ شَاءَ فُلَان»(٥).

كما نهى النبي ﷺ عن الرياء وهو من الشرك الأصغر.

فعن أبي هريرة مرفوعًا قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٦).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤/ ٢١٦) «الطب»، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقيل: فيه خالد بن عبيد المعافري لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٦٧).

(٣) رواه مسلم (١٤/ ٢٢٧) «السلام» دون زيادة «فصدقه»، وهي عند أحمد (٤/ ٦٨) بسند صحيح.

(٤) رواه الترمذي (٧/ ١٨ عارضة) «الإيمان والنذور»، وأبو داود [٣٢٣٥] «الإيمان والنذور»، وأحمد (٢/ ٣٤، ٦٨، ٦٩)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين وحسنه الترمذي وصححه الألباني.

(٥) رواه أبو داود [٤٩٥٩] «عون الأدب»، وأحمد (٥/ ٣٨٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [١٣٧].

(٦) رواه مسلم (١٨/ ١١٥) «الزهد»، وابن ماجه [٣٣٨٧] «الزهد».

obeikandl.com

وكذا سد النبي ﷺ كل الذرائع إلى الشرك، فحرَّم إقامة المساجد على القبور، ونهى عن اعتقاد العدوى والتطير، ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله، ونهى عن المبالغة في المدح، وهو الإطراء، كما نهى عن التصوير.

وتعلم الصحابة رضي الله عنهم هذا التوحيد الخالص من رسول الله ﷺ فصاروا يعلمونه من يلوذ بهم، ومن يتبعهم، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى في يد زوجته خيطًا فيقطعه، ويقول: «لقد أصبح آل عبد الله في غنى عن الشرك». وروى وكيع عن حذيفة: «أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رقى لي فيه، فقطعه، وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك».

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أَلَّا تَدَعْ صُورة إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيتهُ»(١).

فالواجب على القائمين بالدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والذين يرجون عز الإسلام والمسلمين الاهتمام بتربية الناس على العقيدة الصحيحة، والتنبيه الدائم لهم على ما يقعون فيه من أمور الشرك العلمية والعملية، لأن هذا هو هدي رسول الله ﷺ، وما ربى عليه الصحابة الكرام، وكل جماعة من جماعات الدعوة الإسلامية لا تهتم بأمور العقيدة، ولا تربي أبناءها على عقيدة السلف رضي الله عنهم فهي جماعة على غير هدى المرسلين، مهما رفعت من شعارات: الله ربنا، والقرآن دستورنا، إلا أن الواقع أن أفراد الجماعة لا يدرسون العقيدة الصحيحة، بل ومنهم من يقول: عقيدة السلف أسلم، وعقيدة الخلف أعلم وأحكم، وهذا القول عاطل باطل، ولو قاله عالم من العلماء، وكل كلام خالف الكتاب والسنة يضرب به عرض الحائط، فعقيدة السلف أسلم وأحكم وأعلم، بل الواجب على كل أفراد الأمة أن يعتقدوا معتقد السلف رضي الله عنهم كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ

(١) رواه مسلم (٧/ ٣٦) «الجنائز»، والترمذي (٤/ ٢٦٩) «الجنائز»، والنسائي (٤/ ٨٨، ٨٩)، وأبو داود [٣٢٠٢] «الجنائز».

بِسُنَّتِي وَسُنَّة الخُلَفَاء الرّاشِدين المَهْديين مِنْ بَعْدِي عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذْ»[١]، والسنة ما تركنا عليه رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وعقائد، وواقع الأمة يشير إلى أن الجيل الأول كان تقيًّا خاليًا من البدع والاعتقادات الباطلة والأهواء الكاذبة، فلم يكن شيء من الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، وإنما ظهرت البدع في آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم، ثم افترقت البدعة بدعًا، والفرقة فرقًا، فكيف مع ذلك يُقال عقيدة السلف أسلم، وعقيدة الخلف أحكم وأعلم سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم الواجب على المربين كذلك أن يحثوا الطلاب على استشعار معاني العقيدة، وتذوق حلاوتها، حتى يكون لها أثر في حياتهم وواقعهم، فإذا تربى المسلم على إثبات السمع والبصر لله - عَزَّ وَجَلَّ -، فإنه يستشعر اطلاع الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليه، ومراقبته له، وعلمه بسره ونجواه، وقد كان أهل الجاهلية يتجرءون على معصية الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ويستخفون بالمعاصي ظنًّا منهم أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يراهم إذا استخفوا بها.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «وَقَفَ رَجُلَان سَمِينَان أمام الكعبة، فَسَأَلَ أحَد مِنْهُمَا الآخر تَرَى أنّ الله يَعْلَمُ سِرّنَا، فَقَال: يَعْلَم مَا نَجْهَرُ بِهِ، أمّا مَا نُسِرُّ بِهِ فَلَا يَعْلَمُهُ»[٢]، فكانت هذه عقيدة المشركين، أن الله يعلم ما ظهر ولا يعلم ما بطن، ونزل قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٢].

قال الأستاذ عبد الله ناصح علوان: «وهذا النمط من التربية والمراقبة، قد وجه إليه المربي الأول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في إجابته السائل عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُد الله كَأَنّكَ تَرَاه، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاه فَإِنّهُ يَرَاك»[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٧/ ١٢٢) كتاب «المنافقين».

(٣) رواه البخاري (١/ ١١٤) «الإيمان»، ومسلم (١/ ١٥٧-١٦٠) «الإيمان».

وقد أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠١].

وهذه الظاهرة من الترويض والتعليم كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأولادهم وتأديبهم عليها، وإليكم ما قصه الإمام الغزالي في إحيائه: «قال سهل بن عبدالله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك وداوم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سرى، ثم قال لي خالي يومًا: «يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه، وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية »، وبهذا التوجيه السديد، والترويض المستمر، التربية الإيمانية الحقة أصبح سهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كبار العارفين، ومن رجال الله الصالحين بفضل خاله الذي أدبه وعلمه ورباه، وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان والمراقبة، وأنبل مكارم الأخلاق[1].

ولا شك في أن هذا أدب حسن، وتربية حسنة، وأحسن منها تربية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما صح عنه من أذكار وتعوذات، روى البخاري في «صحيحه» عن عبادة بن الصامت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَعَار مِنْ الليل فَقَال: لَا إِلَه إِلّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيك لَهُ، لَهُ المُلك وَلَهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدير، والحَمْدُ لله،

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٦٠-١٦١).

وسُبْحَان الله، ولَا إِلَه إلا الله وَالله أكْبَر، ولَا حَول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله، ثُمّ قال: اللّهُمّ اغْفِر لي - أَوْ دَعَا استُجيب - فَإِنْ تَوَضّأ قُبِلت صَلَاتَهُ»[١].

قال ابن بطال: «وعد الله على لسان نبيه من استيقظ من نومه، ولهج لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه، يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له بالتكبير، والتسليم له وبالعجز عن القدرة إلا بعونه أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قُبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به، ويخلص نيته لربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -»[٢].

قال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري: «أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت، فأتاني آت فقرأ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]»[٣].

(١) رواه البخاري (٣/ ٤٧-٤٨) «التهجد».

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٥٠).

(٣) السابق (٣/ ٥٠).

obeikandl.com

obeikandl.com

[٢] التربية الفكرية

ويُقصد بها تربية شباب الصحوة الإسلامية على فكر السلف، وتعميق المفاهيم الصحيحة في نفوسهم، وتحذيرهم من المفاهيم الخاطئة التي يتربى عليها شباب الإسلام في كثير من جماعات الدعوة الإسلامية، فتكون بذلك ثمرات التربية الصحيحة شبابًا تربوا على فكر السلف، وفهم السلف للكتاب والسنة، وكذا عندهم وقاية من الأفكار الخاطئة، والمفاهيم المخالفة لما كان عليه السلف رضي الله عنهم، التي في الساحة الإسلامية، وهذا لا شك من البصيرة الواجبة في هذا المرحلة الراهنة وعلى ذلك ينقسم البحث في هذا الباب إلى قسمين:

(أ) مفاهيم ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم.

(ب) مفاهيم خاطئة يجب التنبيه عليها والتحذير منها.

(أ) مفاهيم صحيحة ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم:

١- ينبغي أن يتربى الشباب المسلم على الأدب مع الله - عَزّ وَجَلّ - ومع رسوله ﷺ عملًا بقول الله - عَزّ وَجَلّ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات:١]، فيبدءون بالشرع ثم يخضعون العقل له، فيقدمون الرواية على الدراية، والنص الشرعي على النظر العقلي، ويعتقدون أنه لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح، ويعتقدون بأن الأوائل الذين عاصروا التنزيل، واكتحلت أعينهم برؤية البشير النذير، كانوا أكثر دراية وفهمًا للشرع الحنيف فالمعقول عندهم ما وافق هديه، والمجهول ما خالفه.

وهذه القاعدة الأولى من قواعد المنهج السلفي، وهي في الواقع أهم ما يميز أصحاب المنهج الصحيح والفكر السليم عن أصحاب المناهج المبتدعة التي تربى أبناءها على الخروج على سلطان الكتاب والسنة، وتقديم الآراء والأهواء وأقوال الشيوخ

obeikandi.com

والمعظمين على كلام الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو كلام رسوله ﷺ، وهذا المنهج كان واضحًا عند الصحابة رضي الله عنهم، يقول علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وقال عمر».

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٢- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الأخذ بظاهر الكتاب والسنة ورفض التأويل الكلامي فظاهر الكتاب والسنة يجب القول به والمصير إليه حتى يدل الدليل على أن الظاهر غير مراد.

قال شيخ الإسلام: لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاثة معان:

أحدها- أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يُراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ومنه قول عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللّهُمّ رَبّنَا وَلَكَ الحَمْد، اللّهُمّ اغْفِر لي» يتأَوَّل القرآن[1].

(١) رواه البخاري (٢/ ٣٤٩) «صفة الصلاة»، ومسلم رقم [٤٨٤] «الصلاة».

والثاني- يراد بلفظ التأويل التفسير وهذا اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه. فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.

والثالث- أن يراد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى معنى آخر مرجوح يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ موافق لدلالة ظاهره، وهذا هو معنى التأويل عند المتأخرين، وتسمية هذا تأويل لم يكن في عرف السلف.

قال في موضع آخر: وطريقة التأويل طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم يقولون: إن ما قاله له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ، وما يُفهم منه، وهو إن كان لم يبين مراده، ولا يبين الحق الذي يجب اعتقاده، فكان مقصوده أن هذا يكون سببًا للبحث بالعقل حتى يعلم الناس الحق بعقولهم، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قولهم ليثابوا على ذلك، فلم يكن قصده لهم البيان والهداية والإرشاد والتعليم، بل قصده التعمية والتلبيس[1].

٣- ومما ينبغي أن يتربى عليه شباب الأمة ألّا يرفعوا أحدًا من علماء الأمة إلى منزلة لا تنبغي إلا لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فرسول الله ﷺ وحده هو الذي نقبل كل ما قاله وما ذهب إليه، وندع ما خالفه، ومن دونه ﷺ من علماء المسلمين يؤخذ من قوله ويترك.

قال شيخ الإسلام: «إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحدٍ من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

(١) «نقض المنطق» [٥٦].

بهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، ومعرفة بمعانيها واتباعًا لها، تصديقًا وعملًا وحبًا، وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها[١].

فينبغي أن يتربى الشباب المسلم على أن يكون حبهم للحق والسنة أكبر من حبهم للعلماء والمتبوعين، كما قال شيخ الإسلام ابن القيم: «شيخ الإسلام حبيب إلى قلوبنا، ولكن الحق أحب إلينا منه» فأهل الحق والسنة هم أولى الناس برسول الله ﷺ يوم يدعى كل إناس بإمامهم، فإنهم في الحقيقة لم يتخذوا إمامًا دونه يأخذون كل ما جاء به ويدعون ما خالفه، فكل إمام عندهم من أئمة المسلمين يؤخذ من قوله ويترك، وكل كلام عارض عندهم الكتاب والسنة يضرب به عرض الحائط.

٤- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم محبة أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم وآل بيته الكرام فمن خصائص أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله - عَزّ وَجَلّ - بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبُّوا أصحَابِي فَوالذي نَفْسِي بِيَده لَوْ أن أَحَدَكُمْ أَنْفَق مِثل أُحد ذَهبًا مَا بَلَغَ مُد أَحَدهم وَلَا نَصِيفَه»[٢].

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل،

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٦-٣٤٧) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٢١) «فضائل الصحابة»، ومسلم (١٦/ ٢٣) «فضائل الصحابة»، وأحمد (٣/ ١١).

ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر -: «اعْمَلُوَا ما شِئْتُم فَقَدْ غَفَرت لَكُمْ»[١].

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ[٢] بل قد رضى الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة، وثابت ابن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنه، كما دلت الآثار ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.

وكذا محبة أهل البيت وموالاتهم، ومما يخص أهل بيت رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وإجماع الأمة وتواتر الأخبار بشرع الصلاة عليهم في تشهد الصلاة فيجب لذلك حبهم، وتعظيمهم وتوقيرهم، واحترامهم والاعتراف بمناقبهم، فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة، والتطهير، وأهل المناقب الجمة والفضل الشهير.

٥- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم المحافظة على الجمعة والجماعات والأعياد ولا يدعونها لأوهى الأسباب:

قال شيخ الإسلام: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات، ولا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم، فإن

(١) رواه البخاري عن علي رضي الله عنه (٦/ ١٤٣) «الجهاد».

(٢) رواه مسلم (١٦/ ٥٧-٥٨) «الفضائل» عن أم مبشر الأنصارية وهي امرأة زيد بن حارثة.

كان الإمام مستورًا لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره، بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور، وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يحب ألا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب، كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سأله، ولم يقل أحمد إنه لا يصلي إلا خلف من عرف حاله.

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة.

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد شرب الخمر وصلى مرة الصبح أربعًا، وجلده عثمان بن عفان على ذلك.

وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهمًا بالإلحاد، وداعيًا إلى الضلال[١].

٦- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الاهتمام بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وأدلتها من الكتاب والسنة وكذا الاهتمام بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه: بوب الإمام البخاري في «صحيحه»: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقهوا قبل أن تسودوا»، وقال البخاري رحمه الله: «وبعد أن تسودوا، فقد تعلم الصحابة وهم كبار»[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٠) باختصار.

(٢) «فتح الباري» (١/ ١٩٢) العلم.

وقالوا: إذا تصدر الحدث فاته خير كثير.

وقيل لابن المبارك: «إلى متى تطلب العلم؟ فقال: لعل الكلمة التي انتفع بها لم أتعلمها بعد». وقال الإمام أحمد: «حاجة الناس إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فالطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس».

وقال كذلك: «مع المحبرة إلى المقبرة».

وينبغي أن يعلم المسلم كذلك أن العلم هو ما قام عليه الدليل فهو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الامة.

كما قيل:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين قول فقيه

وقيل كذلك:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك فوسواس الشياطين

٧- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم محبة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، واعتقاد فضلهم، وحبهم في الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والاحتجاج بإجماعهم، واعتقاد أن اجتهادهم لنا خير من اجتهادنا لأنفسنا، ولا بأس بدراسة مذهب من المذاهب المتبعة بشرط عدم التعصب للمذهب، وأن يدور الطالب مع الحديث حيث دار، واعتقاد أن الأئمة مأجورون على كل حال، إما أجرًا كاملًا أو أجرًا ناقصًا، لأنهم بذلوا جهدهم في تحصيل أدوات الاجتهاد، وكذا تحري الحق في المسألة، لكن الواجب على طلاب العلم أن يكون اتباعهم لرسول الله ﷺ، فلم يتعبدنا الله - عَزَّ وَجَلَّ - باتباع أبي

حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد - رحمة الله على الجميع -، ولكن تعبدنا باتباع رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والمضطر إلى التقليد الأعمى اضطرارًا حقيقيًّا بحيث يكون لا قدرة له البتة على غيره، مع عدم التفريط لكونه لا قدرة له أصلًا على الفهم، أو له قدرة على الفهم وقد عاقته عوائق قاهرة عن التعلم، أو هو في أثناء التعليم ولكنه يتعلم تدريجيًا لأنه لا يقدر على تعلم كل ما يحتاجه في وقت واحد، أو لم يجد كفئًا يتعلم منه ونحو ذلك فهو معذور في التقليد المذكور للضرورة؛ لأنه لا مندوحة له عنه.

أما القادر على التعلم المفرط فيه، والمقدم آراء الرجال على ما علم من الوحي فليس بمعذور.

ولا يجوز لمن قلد إمامًا تقليدًا أن يقول هذا حلال أو حرام، لأن الحلال هو ما أحل الله على لسان رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة، والحرام ما حرمه الله ورسوله ﷺ، والمقلد لا يعلم هل أصاب إمامه حكم الله - عَزَّ وَجَلَّ - أم لا، وقد قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٥٠]، فليس له إلا أن يقول: هذا رأي إمامي أو ما أفتى به إمامي.

٨- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم تعظيم حرمات المسلمين.

قال النبي ﷺ: «كُل المُسْلِمْ عَلَى المُسْلِم حَرام، دَمُهُ ومَاله وعِرضه»[(١)].

وقال ﷺ في أعظم محفل شهدته البشرية: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا في شَهْرِكُمْ هذا في بَلَدِكُمْ هذا»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم [٢٥٦٤] «البر والصلة»، والترمذي (٨/ ١١٥ عارضة) «البر والصلة».

(٢) رواه مسلم (٩/ ٨٢-١٨٤) «الحج»، وأبو داود (٥/ ٣٧٥-٣٧٧) «المناسك»، وابن ماجه (٢/ ١٠٢٥) «المناسك».

فلا يجوز للمسلم أن يستبيح عرض أخيه لأدنى شبهة وكذا ماله ودمه، قال النبي ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْـمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ من دِينِهِ ما لم يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»(١).

كان ابن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى الكعبة ويقول: إن الله حرمك وشرفك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»(٢).

قال ابن العربي: ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك فكيف بقتل الآدمي، فكيف بالمسلم فكيف بالتقي الصالح(٣).

٩- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم تحمل المسئولية والمشاركة في العمل الجماعي: فإن الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - والعمل لإعزاز دينه ورفع رايته أكبر من أن يقوم بها فرد أو أفراد متناثرون ولكن الواجب على المسلمين التعاون والتضافر للقيام بالواجبات المفروضة على الأمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

يقول الأستاذ/ عباس محجوب: إن المسلمين في أغلب بلادهم قد نشئوا وتربوا على أساليب دكتاتورية في الحياة، وقد عجزت التربية السائدة عن القيام بدروها في تنشئة الشباب المسلم على تحمل المسئولية وتقديرها، لأن النظام التربوي والسياسي لا يعطيان فرصة كهذه فالمعلم مقيد بنظم وأوامر مركزية تسلب منه حرية التصرف كمسلم تقي، وبالتالي تحمل المسئولية، فينعكس ذلك على الطلاب الذين يتحركون وفق أوامر عليهم

---

(١) رواه البخاري (١٢/ ١٩٤) «الديات».

(٢) رواه البخاري (١٢/ ١٩٤) «الديات».

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ١٩٦).

تنفيذها، فلا تربي عندهم روح الشعور بالمسئولية والتقدير لها، والأهلية لها، ثم تحمل نتائجها مع أن التربية تضع في أول مهامها وواجباتها تعويد الطلاب على النظام والعمل، الذي يكون دافعه الشعور بالمسئولية، وهي تعني عند المسلم المسئولية أمام الله أولًا، ثم ولي الأمر ثانيًا[١].

١٠- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم حب الجهاد والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فإن شجرة الإسلام لا تروى بالماء، وإنما تروى بالدماء.

قال الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: من المسائل الخطيرة والأمور الهامة التي يجب أن يهتم المربون بها ويوجهوا اعتناءهم الأكبر إليها تعميق روح الجهاد في نفسية الولد، وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكره وقلبه ومشاعره ولاسيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الإسلام عن بلاد الإسلام، وغربت شمس العزة الإسلامية عن الدنيا وأصبحت السيادة للطواغيت، واستلم زمام الأمور في أكثر بلاد الإسلام أناس لا هَمّ لهم ولا غاية إلا أن ينفذوا مخططات أعداء الله والإسلام، سواء كانت هذه المخططات شيوعية، أو كانت استعمارية، أو كانت يهودية، أو كانت صليبية، فكان من نتيجة ذلك أن ألغيت الخلافة الإسلامية، واجتاحت المجتمعات موجات المادية الطاغية، وعواصف هوجاء من التحلل والإباحية، وتيارات متدفقة من الفكر الإلحادي، وأصبحت بلاد المسلمين هدفًا لكل طامع، وغاية لكل مريد، عسى أن يستعيدوا بجهادهم عز الإسلام ومجد المسلمين[٢].

قال النبي ﷺ: «إذا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عنكم حتى تَرْجِعُوا إلى دِينِكُمْ»[٣].

---

(١) «نحو منهج إسلامي في التربية» محاضرات الجامعة للعام الدراسي (١٣٩٦-١٣٩٧) ص [٣٨٥].

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ١٠٨٨) بتصرف.

(٣) رواه أبو داود [٣٤٤٥] «البيوع»، وقال الألباني: صحيح لمجموع طرقه الصحيحة رقم [١١].

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَة مِنْ النِّفَاق»(١).

وقال ﷺ: «لَغَدْوَةٌ في سَبِيلِ الله أو رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢).

١١- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم التورع عن الفتوى:

قال ابن رجب رحمه الله: «ومن هذا القبيل - أي: طلب الشرف بالدين - كراهة السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة إليها والإكثار منها».

قال علقمة: «كانوا يقولون: أجرؤكم على الفتيا أقلكم علمًا».

وعن البراء قال: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة وما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه» وفي رواية: «فيرده هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون».

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: «أعلم الناس بالفتاوى أسكتهم، وأجهلهم بها أنطقهم».

وقال سفيان الثوري: «أدركنا الفقهاء، وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدًّا من أن يفتوا، وإذا أُعفوا منها كان أحب إليهم».

وقال الإمام أحمد: «ليعلم المفتي أنه يوقع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوف ومسئولٌ عن ذلك».

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان.

---

(١) رواه مسلم (١٣/ ٥٦) «الإمارة»، وأبو داود [٢٤٨٥ عون] «الجهاد»، والنسائي (٦/ ٨) «الجهاد».

(٢) رواه البخاري (٦/ ١٣) «الجهاد»، ومسلم (١٣/ ٢٧) «الإمارة».

obeikandl.com

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة، ويقول: «ما وجدت أحدًا تسأله غيري، وقال: قد تكلمت، ولو وجدت بدًّا ما تكلمت، وإن زمانًا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء».

وقال بعض العلماء لبعض المفتين: «إذا سُئلت عن مسألة فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولًا»[١].

١٢- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة قيمة الأوقات وتعميرها بالطاعات: فالوقت والنفس واللحظات والليل والنهار نعمة من أعظم نعم الله - عَزَّ وَجَلَّ - على العباد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾

[إبراهيم: ٣٣-٣٤]

فالله - عَزَّ وَجَلَّ - سخر لنا الليل والنهار من أجل أن نعمر ساعاتهما بالطاعات، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾ [الفرقان: ٦٢].

قال بعض السلف: «من فاته طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالليل كان له من أول النهار مُستعتب، ومن فاته طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالنهار كان له من أول الليل مستعتب».

وقال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٢].

وقال النبي ﷺ: «لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن أَرْبَعٍ: عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابَهُ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فيه»[٣].

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان لابن رجب الحنبلي [١٤] باختصار. ط. دار الفتح.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٣٣) «الرقاق»، والترمذي (٤/ ٢٣ شاكر) «الزهد».

(٣) رواه الترمذي (٩/ ٢٥٣ عارضة) «صفة القيامة»، وقال: حسن صحيح وحسنه الألباني بشواهده في «الصحيحة».

obeikandl.com

وقد كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على أوقاتهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها. قال رجل لأحد العلماء: قف أكلمك، فقال: أوقف الشمس، وكان بعضهم إذا جلس عنده الناس فأطالوا الجلوس يقول: أما تريدون أن تقوموا، إن ملك الشمس يجرها لا يفتر.

قال الحسن البصري: «أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم، أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم».

وكانوا يقولون: «من علامة المقت إضاعة الوقت».

مات ابن لأبي يوسف تلميذ أبي حنيفة فوكل بتغسيله ودفنه أحد جيرانه، لئلا يفوته درس من دروس شيخه أبي حنيفه رحمه الله.

١٣- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بواجبه بحسب القدرة والطاقة:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب خيرية هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بيده، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(١).

فإنكار اليد واللسان بحسب القدرة والطاقة، وإنكار القلب واجب حتم، فإذا لم ينكر القلب المنكر دل على ذهاب الإيمان منه.

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٢٢-٢٥) «الإيمان»، والترمذي (٩/ ١٨ عون) «الفتن»، وأبو داود [١١٢٨] «صلاة العيدين»، والنسائي (٨/ ١١١-١١٢) «الإيمان»، وابن ماجه [٤٠١٣] «الفتن».

سمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلًا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر. فقال: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر.

فما هو الصراط المستقيم في القيام بهذه العبادة:

١- **العلم**: لابد من العلم بالمعروف والمنكر، وكذا حال المأمور والمنهي.

٢- **الرفق**: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيه مَا لاَ يُعْطِي على الْعُنْفِ»(١).

٣- **الصبر**: قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

٤- **النظر إلى المصالح والمفاسد**: فإذا كان الأمر بالمعروف يفوت معروفًا أكبر أو تترتب عليه مفسدة أكبر يحرم الإنكار.

٥- **الاستطاعة**: قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِع فَبِقَلبه وَذَلِكَ أَضْعَف الإِيمَان»(٢).

١٤- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة مراحل الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - والعبودية المطلوبة في كل مرحلة:

فحيث كان الصحابة الكرام مستضعفين بمكة لا دولة لهم ولا شوكة كانت العبودية في كف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتحمل الأذى، مع الاجتهاد في نشر الدعوة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

---

(١) رواه البخاري (١٢/ ٢٨٠) «الاستتابة»، ومسلم (١٦/ ١٤٦) «البر والصلة».

(٢) سبق تخريجه.

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ [الجَاثِيَة: ١٤].

ولما بايع الأنصار الكرام رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية أمر النبي ﷺ من كان بمكة بالهجرة إلى المدينة لإقامة الدولة الإسلامية وتقوية الشوكة، فصارت العبودية المطلوبة في هذه المرحلة في ترك الأهل والوطن والمال والهجرة إلى المدينة امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ، ولما صار للمسلمين دولة وشوكة أُذن في الجهاد والجلاد، وصارت العبودية في الجهاد والجلاد، وإراقة دماء الكفار وإزهاق أرواحهم، فالواجب على المسلم أن يكون بصيرًا بزمانه فيحدد المرحلة التي تعيشها الدعوة، والواجب عليه في هذه المرحلة، فلا تحركه العواطف الهوجاء، بل ينبغي أن ينظر بعين الشرع لا الهوى، وأن يتحرك لإعزاز دين الله - عَزَّ وَجَلَّ - إذا تيقن أو غلب على ظنه أن فيما يقوم به فيه إعزاز لدين الله ورفع رايته.

وهذا أيضًا من البصيرة الواجبة في هذا الزمان حتى لا تضيع الجهود، وتزهق النفوس دون ثمرة يجنيها المسلمون إلا الويلات والانتكاسات، وإزهاق أرواح الشباب المسلم، رجاء مصالح متوهمة بدون مكاسب حقيقية، أو حتى نكاية بأعداء الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

١٥- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الثقة بنصر الله - عَزّ وَجَلّ - واليقين بوعده:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصَّافَّات: ١٧٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفَتْح: ٢٢-٢٣].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفَتْح: ٢٨].

فطبيعة الحرب بين أولياء الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأعدائه أن تكون سجالًا ينتصر المؤمنون في جولة من الجولات فتقوى شوكتهم وتزداد قوتهم، ويدال عليهم في جولة أخرى فيمحص الله ما في صدروهم، ويبتلى ما في قلوبهم، ويتخذ من شاء من الشهداء.

ولكن الجولة النهائية لابد أن تكون لأولياء الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والعاقبة في الدنيا والآخرة للمؤمنين وحزب الله الموحدين، لما حدثت الهزيمة يوم أُحد، وظن الناس أن هذه آخر الجولات، وأن المسلمين لن تقوم لهم قائمة، قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، فالهزيمة يوم أُحد لا يمكن أن تكون آخر الجولات: فسنة الله - عَزَّ وَجَلَّ - في عباده أن تكون العاقبة للمتقين والهلاك والدمار للكافرين والمكذبين.

والله - عَزَّ وَجَلَّ - قادر على إهلاك الكافرين والمكذبين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

فلابد أن يتربى الشباب المسلم على الثقة بنصر الله، واليقين بوعده كما تربى الصحابة رضي الله عنهم، حتى دانت لهم المشارق والمغارب، ونظر الخليفة المسلم هارون الرشيد إلى السحابة في السماء، فقال: أمطري حيث تشائين فسوف يأتيني خراجك.

١٦- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة الحضارة الإسلامية والمخططات اليهودية والنصرانية والماسونية التي تستهدف شباب المسلمين:

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان: على المربين أن يعرفوا الولد منذ أن يعي ويميز الحقائق التالية:

(أ) خذوا هذا الإسلام وصلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة، لما يمتاز به من مقومات الشمول، والخلود، والتجدد، والاستمرار.

(ب) آباؤنا الأولون وما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عز وقوة وحضارة إلا بفضل

اعتزازهم بهذا الإسلام، وتطبيقهم لأنظمة القرآن.

(جـ) الكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام:

- المخططات الصهيونية الماكرة.
- والمخططات الاستعمارية الغاشمة.
- والمخططات الشيوعية الملحدة.
- والمخططات الصليبية الحاقدة.

هذه المخططات التي تستهدف بجملتها محو العقيدة الإسلامية من الأرض، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم، وإشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والهدف البعيد والقريب من ذلك إخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الإسلام، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية، ثم بالتالي طمس معالم الإسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها إلى الإسلام!!

(د) الكشف عن الحضارة الإسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حينًا من الدهر عبر التاريخ.

(هـ) وأخيرًا يجب أن يعرف الولد أننا أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل وأُبي بن خلف، ولكن دخلناه بالرسول العربي - صلوات الله عليه - وأبي بكر وعمر.

ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء، ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك، ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد.

ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزى، ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ومبادئ القرآن[1].

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ٢٨٦-٢٨٧).

١٧- ينبغي أن يتربى الشباب المسلم على الخشونة والرجولة وترك التنعم والترفه؟

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به إلى اليمن قال: «إيّاك والتّنَعُم، فَإنّ عِبَاد الله لَيْسُوا بالمُتَنَعمين»(١).

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تَسْمَعُون: أن البذاذة مِنْ الإيمَان»(٢).

والبذاذة: هي رثاثة الهيئة، وقيل القشافة أي: التقشف.

وعن عبيد الله بن بريدة أن رجلًا من أصحاب رسول الله رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه، فقال: أما إني لم آتك زائرًا ولكني سمعت أنا وأنت حديثًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما أراك شعثًا وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الإرفاه(٣).

قال الخطابي: والإرفاة الإكثار من الزينة، والتدلل، والتدهن، والترجيل ونحو ذلك من أمر الناس، فأمر بالقصد في ذلك وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف فإن الطهارة النظافة من الدين(٤).

قال الدكتور/ بدير محمد بدير ما ملخصه: «فطالبت السنة المطهرة بالتعود على التقشف لأن المتقلب في الترف والنعيم عندما يكبر يسترسل في الترف والملذات، فيختار

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٣-٢٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية»، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٥٠)، وكذا المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٥٥)، وقالا: رجاله ثقات.

(٢) رواه أبو داود [٤١٦١] «الترجل»، وابن ماجه [٤١١٨]، والحاكم (١/ ٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٤١].

(٣) رواه أبو داود [٤١٦١] «الترجل»، والنسائي (٨/ ١٣٢)، وأحمد (٦/ ٢٢).

(٤) «معالم السنن» (٤/ ٢٠٨)

دائماً الطريق السهل، ولا يمكن أن يركب الصعب، وقد يهرب من المسئولية ويجبن عند لقاء الأعداء بل قد يفر في معارك الرجال، وذلك لأنه نشأ نشأة لينة طرية لا رجولة فيها ولا خشونة، ولا صبر فيها ولا مصابرة، والأمة التي تنشئ جيلًا ناعمًا لا يصلح لشدائد الحياة».

مر النسيم يجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه

(ب) مفاهيم خاطئة يتربى عليها الشباب المسلم ينبغي التنبيه عليها والحذر منها:

كثير من جماعات الدعوة في الساحة الإسلامية يربون أبناءهم على مفاهيم خاطئة، يظنون صحتها أو خطأها، ولكنها وسيلة توصلهم إلى الهدف الذي يهدفون إليه، وكونها وسيلة إلى هدف مشروع يكفي لأن تكون في ذاتها مشروعة، وهذا الظن ظن خاطئ، فالغاية لا تبرر الوسيلة، فمهما كانت الغاية مشروعة لابد أن تكون الوسيلة كذلك مشروعة، ونحن لا نقصد بهذا المبحث التجريح بهم والطعن فيهم، فليس في ذلك مصلحة شرعية، وإنما نقصد النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، والله من وراء القصد ولذلك نكتفي بذكر هذه المفاهيم الخاطئة دون عزو إلى فرد أو جماعة اقتداءً برسول الله ﷺ في قوله: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».

١- فمن هذه المفاهيم الخاطئة التي تربي عليها بعض الجماعات من ينتسب إليها الاستهانة بأمر العقيدة:

فلا مانع من أن يضم صف الجماعة الجهمي والمعتزلي والصوفي. ما دام ولاؤهم لجماعتهم، وسمعهم وطاعتهم لقادتهم، وليتهم يضمون هؤلاء الأفراد ذوي العقائد المخالفة ثم يتعلمون في داخلهم العقيدة الصحيحة، نتيجة لاهتمام الجماعة بأمر العقيدة، وتبنيها عقيدة السلف رضي الله عنهم، فأي أمة تقام بهؤلاء الأفراد وقلوبهم شتى، وعقائدهم مختلفة شذر مذر، وهم مخالفون لأوجب الواجبات عليهم وهو معرفة الله – عَزَّ وَجَلَّ –

بالدليل، وإفراده تعالى بالعبادات، وكيف تأتلف قلوب هؤلاء الأفراد ويترابط هذا المجتمع مع اختلاف العقائد، ثم كيف تقوم بهم دولة الإسلام ويرفعون راية الملك العلام، مع هذه العقائد الباطلة المخالفة لعقيدة السلف رضي الله عنهم والخلافة حين تعود لابد أن تعود على منهاج النبوة، فلابد من جمع الناس على العقيدة الصحيحة، وتعميق الإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر في قلوبهم، وتحذير الأفراد وتحصينهم من العقائد الباطلة والأقوال العاطلة.

٢- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الشباب المسلم غرس بذور التقليد في قلوبهم وتربيتهم على التعصب لمذهب من المذاهب المتبعة بدلًا من تربيتهم على التعصب لسنة رسول الله ﷺ، وترك العمل بكل قول جاء حديث النبي ﷺ بخلافه، مع أن الأئمة الأربعة دلوا الأمة على اتباع رسول الله ﷺ، وترك أقوالهم إذا صح الحديث بخلافها، فقال الإمام الشافعي: إذ صح الحديث. فهو مذهبي، واضربوا بكتابي هذا عرض الحائط.

وقال الإمام أبو حنيفة: حرام على من لم يعرف دليلنا أن يتبع مذهبنا.

وأدهى من ذلك وأمر تربية الأفراد على الطاعة العمياء لقادة الجماعة، ويستدلون بقول النبي ﷺ: «من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»[(١)].

ونسوا أو جهلوا أن طاعة الأمير مقيدة بطاعته لله - عَزَّ وَجَلَّ - أو لرسوله ﷺ، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - عَزَّ وَجَلَّ -.

ونسوا كذلك قول أبي بكر رضي الله عنه لما استخلف: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم».

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ١١٩) «الأحكام»، ومسلم [١٨٣٤] «الإمارة»، واللفظ له وأوله: «من أطاعني فقد أطاع الله».

روى البخاري في «صحيحه» عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، وأمر عليهم رجلًا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبًا فأوقدوا نارًا، فلما هموا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض.

فقال بعضهم: إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فرارًا من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف»[(١)].

٣- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الشباب المسلم قولهم بأن كل مجتهد مصيب وأن الحق متعدد:

والحق أن الحق واحد لا يتعدد، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء:٧٩]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[(٢)]، فالمجتهد مأجور على كل حال، لأنه بذل جهدًا في تحصيل أدوات الاجتهاد، وقصد الحق وبذل جهده في الوصول إليه، فإن وفق إلى الحق فله أجران وإن لم يوفق للحق فله أجر واحد وهو معذور.

أما استدلالهم على أن الحق متعدد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق»، فقال بعضهم: لا نُصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدًا منهم[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ١٢٠) «الأحكام».

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٣٣٠) «الاعتصام»، ومسلم (١٢/ ١٣) «الأقضية»، وأبو داود [٣٥٥٧عون] «الأقضية».

(٣) رواه البخاري (٧/ ٤٧١) «المغازي».

قال الحافظ: «ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد فيستفاد منه عدم تأثيمه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحًا للنهي الثاني على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأنه كناية على الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة، وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد، لأنه ﷺ لم يعنف أحدًا من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم»[1].

٤- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قولهم لا إنكار في الخلافيات:

فإن كانوا يقصدون المسائل الاجتهادية وهي التي لم يرد فيها بخصوصها نص، وكان مستند العلماء فيها القياس، أي يقيسون غير المنصوص عليه على المنصوص لتشابه بينهما فهذا حق، فلا ينكر عالم مجتهد على آخر في هذه المسائل الاجتهادية، ويجب على كل منهما أن يفعل ما أداه إليه اجتهاده، وكذا المسائل التي فيها نص غير واضح الدلالة، واختلفت فيه أنظار الفقهاء. أما المسائل التي وردت فيها نصوص من الكتاب أو السنة، والخلاف فيها غير سائغ فبعضهم يستدل بالأدلة الصحيحة الصريحة، والمخالف له يخالفه بقياس فاسد، أو باتباع للرأي والهوى، كمسألة التصوير، واللحية ومصافحة النساء، والسفر بغير محرم، فهذه ليست مسائل اجتهادية، والواجب على المسلم إذا بلغه الحكم من الكتاب والسنة أن يقول به ويذهب إليه، ولا يجوز أن يعارضه بقياس فاسد، أو خطأ مجتهد، فإذا اتبعت زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله، فتمييع القضايا بهذه الطريقة يعود على جزء كبير من الشريعة بالهدم، وتصويب كل قول قاله عالم أو مال إليه فقيه ليس بصحيح، فهذه الأقوال قد تكون متعارضة فكيف يصح القول ونقيضه، فالله - عَزَّ وَجَلَّ - ما تعبدنا باتباع كل عالم، ولكنه تعبدنا باتباع رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(١) باختصار من «فتح الباري» (٣/ ٤٧٣).

فكل من دلنا على حديث النبي ﷺ وأوقفنا على دليله من الكتاب أو السنة فنحن معه، وهذه منزلة الاتباع اللائقة بطلاب العلم، فلا يليق بطالب العلم التقليد، وكذا لا يجوز له الاجتهاد، لأنه لم يحصل أدوات النظر المباشر، فاللائق به أن ينظر في المسائل التي اختلف فيها ويتبع أكثرهم اتباعًا لرسول الله ﷺ، وأسعدهم بالسنة.

٥- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الشباب المسلم تقديم الآراء والأقيسة الفاسدة على النصوص الصريحة الواضحة:

وهذا باب عظيم من أبواب الشر، وسوء أدب مع الله - عَزَّ وَجَلَّ - ومع رسوله ﷺ لأنهم يعطلون بذلك ما يشاءون من نصوص الشريعة بعقولهم السخيفة وأفكارهم الرديئة، فإن كل قياس وإن كان حسنًا من حيث النظر إذا صح الحديث بخلافه فهو مردود بالقادح المسمى فساد الاعتبار، وإنما يلجأ العلماء للقياس عند عدم النص، فهو كأكل الميتة للمضطر، وكما يقولون: إذا جاء الأثر بطل النظر، وإذا طلع الصباح أغنى عن المصباح.

٦- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربي عليها الأفراد في بعض جماعات الدعوة التعصب للجماعة وقادتها، وقطع الموالاة بينهم وبين أفراد بقية الجماعات:

وقد تكون هذه العصبية للجماعة ذريعة للوقوع في الجماعات الأخرى، أو لاستباحة أعراضهم بالغيبة والبهتان، وكذا تتبع العورات، واشتغال كل جماعة بعيوب الأخرى، فيكون التنازع والفشل وتضييع الجهود، وتمرض القلوب، وإن كانت هذه الآفة قد اختفت أو قل وجودها في بعض المناطق، فقد ظهرت في أماكن أخرى، والعجيب الغريب أن هذا التعصب موجود عند الجماعات التي تعتقد اعتقاد السلف، وتنتهج نهج السلف في فهم الكتاب والسنة، نتيجة لاختلاف اللافتات المرفوعة، فأسماء السلفية، وأنصار السنة، وأهل السنة، وأهل الحديث مسميات لمسمى واحد، وهم الذين يعتقدون اعتقاد

السلف، وينتهجون نهج السلف في فهم الكتاب والسنة، فلا ينبغي أن تكون هذه الأسماء مدعاة للعصبية والفرقة، وعلى الدُّعاة والمربين أن يربوا الناس على الولاء للجماعة الأولى جماعة الصحابة، ومن على شاكلتها عبر القرون، فتذوب بذلك هذه العصبيات المقيتة، إذا تربى أفراد هذه الجماعات التي تنتهج منهج السلف على الولاء للجماعة الأم، والمحبة لمن كان على هذا المنهج عبر القرون.

٧- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يتربى عليها بعض الأفراد في بعض جماعات الدعوة تقسيم الدين إلى قشور ولباب:

وهذا التقسيم من أجل إهمال ما أسموه بالقشور، بحجة أنهم مشغولون باللباب، وهذا التقسيم متهافت لا دليل عليه من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ. بل الأدلة من الكتاب والسنة على خلافه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي: في كل شرائع الإسلام، وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[(١)].

يقول الدكتور عمر الأشقر: «ومن هنا يجب الاعتناء بفعل الأعمال التي فرضها الله علينا أو حبب إلينا فعلها وترك ما نهى عنه من أعمال، لأن ذلك جزء من الإيمان، فالعمل المتروك وإن كان قليلًا ينقص من الإيمان بذلك المقدار، ومن هنا يجب أن يتنبه الذين يهونون من شأن العمل بسنة الرسول ﷺ والتزامها إلى خطورة موقفهم، وقد يتعدى بعض هؤلاء طوره فيصف أمورًا من السنن أو الدين بأنها قشور ونسأل الله أن يعفو عن هؤلاء، فإن الدين كله لباب لا قشور فيه، وإن تفاوتت أمور الدين في الأهمية، ولا يفهم من قولنا هذا أننا لا نعتني بالأولويات في العلم والعمل والدعوة إلى الله، فهذا أمر ينبغي أن يكون مقررًا ومعلومًا، ولكن الذي ننكره هو ترك الجزيئات، ولوم الذين يلزمون أنفسهم بالصغير والكبير من أمر الإسلام، وسنة المصطفى ﷺ، وكم

(١) سبق تخريجه.

يؤثر في نفسي مشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن ودخل عليه شاب وقال لعمر قولًا حسنًا، فلما أدبر ذلك الشاب ليخرج، وكان ثوبه طويلًا دعاه عمر، وقال: يا ابن أخي قصر ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأرضى لربك. لم يمنعه ما هو فيه (الموت) أن يرشد الرجل إلى أمر يعده كثير من الناس اليوم من القشور التي لا يجوز أن يعنى بها»[1].

٨- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول أحد المفكرين المعاصرين المنظرين لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة يقول تحت عنوان: «الطريق إلى الصحة والنصر بإذن الله»:

«وبقدر ما ينجح المسلمون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل السياسي، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل التربوي والتعليمي، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في الشئون المالية والاقتصادية، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في كل اختصاص بقدر ما ينجحون بهذا كله يكون ثقلهم حقيقيًّا، وبقدر ما يخفقون في هذا كله أو شيء منه فإن الغثائية فيهم ستستمر».

وهذا كلام منسلخ من الأدلة، وما هو إلا اتباع الظن، والظن كما قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وأين هذا من هدى النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة الدولة الإسلامية، وتربية أصحابه بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، هل زج بالصحابة الكرام في تعلم المهاترات السياسية، أو تعلم الاقتصاد حتى يكون لدعوته ثقل، أم رباهم بالتوحيد وسقاهم القرآن المجيد، وقام وقاموا معه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]، والذي يستغرب في هذا المنهج هو الاهتمام بالسياسة والاقتصاد وإهمال تعلم العقيدة، والارتقاء بأحوال الناس الإيمانية، والتربية على البذل والجهاد وحب الاستشهاد، والاهتمام بالعلوم

(١) العقيدة في ضوء الكتاب والسنة «العقيدة في الله» [١٨] ط. مكتبة الفلاح، ودار النفائس، وانظر كذلك رسالة «بدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب» لمحمد أحمد بن إسماعيل حفظه الله.

obeikandl.com

التجريبية، وإهمال العلوم الشريفة الشرعية، وكلماتهم التي تتردد دائمًا نحن نحتاج إلى الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، وهذا حق ولكن حاجتنا إلى العالم المسلم، والمربي المسلم، والمجاهد المسلم أشد.

وأترك الرد على هذا الفكر لصاحب المعالم والظلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة ما ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض، وفي كل جيل أن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة، وليس شيئًا آخر على الإطلاق، إن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة، إنها ليست معركة سياسية، ولا معركة اقتصادية، ولا معركة عنصرية، ولو كانت شيئًا من هذا لسهل وقفها أو سهل حل إشكالها، ولكنها في صميمها معركة عقيدة، إما كفر وإما إيمان، إما جاهلية وإما إسلام، ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد وهو أن يدع معركة العقيدة، وأن يداهن في هذا الأمر، ولو أجابهم - حاشاه - إلى شيء مما أرادوا ما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق».

إنها قضية عقيدة، ومعركة عقيدة، وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدوًا لهم، فإنه لا يعاديهم إلا لهذه العقيدة: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع[(١)].

فرحمة الله على صاحب الظلال والمعالم الذي بذل عمره وجاد بروحه من أجل أن تتضح قضية من قضايا التوحيد، وهي أن الحكم من صلب العقيدة، ومن تمام التوحيد، فالحكم بغير شرع الله كفر والرضا بالكفر كفر ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

---

(١) «معالم في الطريق» لسيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص [١٨٥-١٨٦] دار الشروق.

٩- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم الغلو والتنطع واتباع العاطفة الهوجاء التي لا تنضبط بضوابط الكتاب والسنة فيخرجون من الإسلام ويحكمون بالكفر على من تلبس ببعض المعاصي الظاهرة، وإن كانت هذه المعاصي لا تنافي أصل التوحيد، ولا يستحلها أصحابها.

وقد قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله...»[(١)]، فالمعاصي بمجردها لا تدل على خروج صاحبها من ملة الإسلام ودخوله في الكفر، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن لعن من شرب الخمر: «لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله...»[(٢)]، فالمعاصي لا تنافي أصل الإيمان، ولكن تنافي كمال الإيمان.

وقال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ **كذلك**: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه..[(٣)] فقد جعل الله - عَزَّ وَجَلَّ - للإسلام بابًا وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن فعل فعلًا أو قال قولًا يتنافى مع هذا الإقرار السابق يخرج به من ملة الإسلام إلى ملة الكفر. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قال لا إله إلا الله نفعته يومًا من دهره أصابه قبل ذلك ما أصابه»[(٤)].

---

(١) «شرح الطحاوي» (٢/ ٤٣٢) لابن أبي العز بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط. ط. الرسالة.

(٢) رواه البخاري (١٢/ ٧٧٩) «الحدود» رقم [٩٧].

(٣) «شرح الطحاوية» (٢/ ٤٥٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة».

وقال ﷺ: «يَخْرج من النّار مَنْ قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»(١).

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله: «ولكن التشدد والتطرف الذي هو آفة الآفات، وغاية الشرور، وسبيل هدم الدين وتمزيق جماعة المسلمين هو الغلو في التكفير، والتنطع بإخراج المسلم عن الإسلام بالمعصية التي لا تبلغ درجة الكفر، واستحلال دمه وماله بذلك، وهذا النوع من الغلو هو الذي فرق أمة الإسلام على عهدها الأول، ففي طريقه استحلت طائفة من المسلمين دم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، زاعمين أنه لا يسير على طريقة الشيخين، واستحلوا بعد ذلك قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه»(٢).

١٠- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم التهور الحركي، وسرعة الانجراف على عمليات بائسة يائسة، لا يجني الإسلام والمسلمون منها إلا الويلات والانتكاسات، ولا يحصل بها المقصود من عز الإسلام والمسلمين، بل تستأصل بسببه الدعوة، ويذهب الدعاة خلف الأسوار، لا ينتفع بهم ولا ترتفع بهم راية الإسلام أو يستهان بدمائهم فلا يبقى لهم عين ولا أثر.

عن سليمان بن علي الربعي قال: «لما كانت الفتنة - فتنة ابن الأشعث - إذ قاتل الحجاج بن يوسف، انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نظرائهم فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج. قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تك عقوبة من الله، فما أنتم

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٤٨١-٤٨٢) التوحيد، ومسلم [١٩٣] الإيمان مطولًا.

(٢) «فصول من السياسة الشرعية في الدعوة» [١٢٥-١٢٦] باختصار.

obeikandl.com

برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج. قال: وهم قوم عرب. قال: وخرجوا مع ابن الأشعث فقتلوا جميعًا»[١].

عن الحسن قال: «لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه فوالله ما جاءوا بيوم خير قط»[٢].

ولا شك في أن تجربة الجزائر خير شاهد على أن هذه الشجرة لا تثمر إلا الحنظل، والمتتبع لتاريخ الإسلام عبر القرون يزداد يقينًا بأن هذه الطريق كلها دماء وأشلاء: وليس فيها خير للإسلام وأهله.

بل تعمد بعض الحكومات الجائرة والسلطات الجاهلية إلى افتعال مثل هذه الأفاعيل وبالإعلام الفاجر الكاذب يوهمون الدهماء والعامة أنه من فعل الجماعات الإسلامية، حتى يبرروا استئصال النبت الإسلامي، وتشويه الصحوة، وضرب الحركة، وهذا تطرف حركي في هذه الدعوات كما أن الغلو في التكفير تطرف عقدي.

١١- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الأفراد في إحدى جماعات الدعوة أن إنكار المنكر واجب باليد ولو ترتب على الإنكار منكر أكبر.

وهذا القول لا شك منكر يجب إنكاره، ولا يقوله من له أدنى حظ من العلوم الشرعية، لأن الشريعة أتت لتحصيل المصالح وتكثيرها وتقليل المفاسد وإعدامها والواجب في كل حال من الإنكار هو إنكار القلب كما سمع ابن مسعود رجلًا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ومن لم ينه عن المنكر. فقال: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر. وقال: يوشك من عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع له غير أن يعلم الله من

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٦٣-١٦٤) ط. دار صادر.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٦٣).

قلبه أنه له كاره، والأدلة على إبطال هذا القول كثيرة شهيرة، فمن ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فأنكر عليه الصحابة رضي الله عنهم ونهاهم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه شرع في المفسدة ولوث جزءًا من المسجد فلو أنكر عليه لما استطاع أن يقطع بوله ولأدى ذلك إلى تلوث أماكن أخرى من المسجد، وكذا لما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم اقتل ابن أبي المنافق فقال: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

فتحمل النبي صلى الله عليه وسلم غدرات ابن أبي وإن كانت مفاسد، خشية هذه المفسدة العظمى، وهي أن يقول الناس: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه.

١٢- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول بعض قيادات إحدى الجماعات الإسلامية وهي كالقانون عندهم، لا نتكلم في أمراض الأمة: ولا شك في أن هذا من أمراض هذه الجماعة، وعلامات بعدها عن هدى الرسل فإن من هدى الرسل معالجة أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وطاعة العزيز الحميد، فهذا شعيب - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - يقول لقومه:

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٨-١٨٣].

وقال لوط عليه السلام لقومه: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾

[الأعراف: ٨٠-٨١]

فالرسل الكرام يعالجون أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وإذا تركت الأمراض تنخر في عظام الأمة فقد تقضي عليها، فلا ينفعها نصح الناصحين ووعظ الواعظين، وتحق الكلمة عليهم أنهم من أصحاب الجحيم.

١٣- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول بعض قادة إحدى جماعات الدعوة التي تستهين بطلب العلم: إن الصحابة لم يكن فيهم من العلماء إلا أربعة.

وهذا من الجهل البليغ والغفلة الشنيعة ولعلهم يستدلون بحديث البخاري: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبي بن كعب»[(١)].

قال الحافظ: «ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوا وأزيد منهم جماعة من الصحابة، وقد تقدم في (غزوة مؤتة) أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يُقال لهم القراء، وكانوا سبعين رجلا[(٢)].

ولعلهم بذلك يبررون إعراضهم عن العلم، وعزة العلماء فيهم، وتصدر من هو حديث عهد بالطاعة والعبادة للدعوة، وفاقد الشيء لا يعطيه، والدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - لابد أن تكون على بصيرة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُف:١٠٨]، ومن تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير.

١٤- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول أحد أئمة بعض الجماعات الإسلامية: أصل الأصول الحب في الله:

وهذا لا شك إهدار لفضل التوحيد، وجهل بالدين المجيد فأصل الأصول هو التوحيد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٦٦٢) «فضائل القرآن».

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٦٣) وقوله في «غزوة مؤتة» الصحيح «حادثة بئر معونة» كما هو ثابت في السيرة.

فما أمرت الرسل بأمر قبل التوحيد، ولا نهت عن شيء قبل الشرك، وكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد ولا تجعل التوحيد نصب عينها فهي دعوة على غير هدى المرسلين.

والحب في الله ثمرة من ثمرات محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والمحبة عبادة قلبية، وهي جزء من التوحيد، لا يكفي لدخول الجنة والنجاة من النار، فمن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

والقلب في سيره إلى - عَزَّ وَجَلَّ - مثله مثل الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فإذا سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران وإذا قطع الرأس مات الطائر وإذا كسر الجناحان أو أحدهما صار عرضة لكل صائد وكاسر.

١٥- ومن المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم عدم الاهتمام بالهدى الظاهر واعتباره من سفاسف الأمور التي لا ينبغي الاشتغال بها فيعطلون بذلك نصوصًا كثيرة: كالأمر بإعفاء اللحى وحف الشوارب، وكذا النهي عن التشبه بالكفار، واتباع سنتهم، وكذا إهمال النساء أوامر الحجاب الشرعي، وما دروا أن صلاح الظاهر هو عنوان صلاح الباطن وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من أظهر لنا خيرًا ظننَّا به خيرًا وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شرًا ظننَّا به شرًا وأبغضناه عليه».

الواجب على المسلم أن يدخل في جميع شرائع الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة:٢٠٨]، فالواجب على المسلم أن ينقاد ظاهره وباطنه لشرع الله، وأن يعظم شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

وإصلاح الظاهر لا يشغل بحال من الأحوال عن إصلاح الباطن، بل يعين عليه، ويدفع إليه فمهما كان العبد ملتزمًا في الظاهر بشرع الله فإنه يستحي من المخالفات

obeikandl.com

الظاهرة، لأنه ينتسب في الظاهر للشرع المتين، وقد حكى أحد الدعاة وفقه الله أن رجلًا أخبره أنه كان يريد أن يقترف معصية معينة وكان المانع له من هذه المعصية وجود اللحية في وجهه، فسول له الشيطان حلق لحيته، فلما حلقها قارف المعصية ولم يجد ما يحجزه عنها، فنسأل الله السلامة والعافية.

١٦- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم عدم التوازن في تحصيل العلوم الشرعية فقد يصل طالب العلم إلى أدق مسائل علم التجويد والقراءات وهو جاهل بالتوحيد أو فقه العبادات، كما يتعمق بعض الطلاب في علم الحديث حتى يظن أنه في رتبة شعبة وسفيان، وهو بعد لم يحصل القدر الواجب من العلوم الشرعية، فهو جاهل بالتوحيد والفقه والتفسير فدراسة العلم بهذه الطريقة غير المتكافئة قد توقع الطالب في شيء من العجب أو الكبر، وتظهر هذه الآفات في كتب المتعالمين الذين يوهمون الأئمة ويزاحمون كبار المحققين بأقوالهم واجتهاداتهم فيقول الواحد منهم: وهم يحيى، وفي الغالب هو الواهم فليس بالأمر الهين توهيم هؤلاء العلماء وتخطئتهم، لأنهم جبال في الحفظ والإتقان، ولعل المتعالم اختلط عليه راو باسم راو آخر في نفس الطبقة، أو صحح حديثًا بظاهر السند والحديث معلول عند العلماء، وعلى كل حال الواجب على طالب العلم أن يكون متوازنًا في تحصيل العلوم الشرعية، وأن يبدأ بالأهم فالمهم.

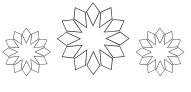

obeikandl.com

obeikandl.com

[٣] التربية الإيمانية

ويقصد بها العمل على زيادة الإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - واليوم الآخر، وتعميق معاني الإيمان، والارتقاء بالقلوب حتى تجد حلاوة الإيمان، وتحب طاعة الرحمن وتنأى عن الفسوق والعصيان، وانظر طريقة القرآن في تعميق الإيمان بالآخرة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، كان القرآن المكي يقرر ويكرر أمور الآخرة على قلوب الصحابة رضي الله عنه، حتى صاروا كأنهم يعاينون الآخرة بعيني رؤوسهم، فهانت عليهم أنفسهم، وبذلوا جميع ما يملكون طلبًا لجنة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورغبة في رضاه، فتارة يخبر الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالآخرة خبرًا مؤكدًا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]، وتارة يقسم الله - عَزَّ وَجَلَّ - بوقوعها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ١-٦].

وتارة يأمر نبيه بالإقسام على وقوعها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

وتارة يذم الله - عَزَّ وَجَلَّ - المكذبين بها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

وتارة يمدح المؤمنين بها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وتارة يخبر الله - عَزَّ وَجَلَّ - بقرب القيامة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

فالإيمان كما قرر السلف يزيد وينقص، يزيد بكثرة الأدلة وقوتها، وينقص بالجهل، والغفلة، والمعاصي، ومهما ازداد الإيمان يسهل على العبد الطاعات والبعد عن المعاصي

والعثرات، ومهما نقص الإيمان تعثر العبد في الخطيئات، وسقط في الظلمات، وأعرض عن رب الأرض والسموات قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...»[(١)]، فكان ما يميز القرآن المكي الإكثار من ذكر الآخرة، وكذا اشتماله على القصص القرآني الذي يتسلى به الصحابة الكرام وهم يعانون أشد ألوان العذاب بمكة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار - تعني رضي الله عنها سورة المدثر، وهي ثاني سورة نزولًا، وفيها يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤١]، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل من أول الأمر: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، ولو نزل: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا.

وأُنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده بالمدينة.

ومما ربى الله - عَزَّ وَجَلَّ - به الإيمان في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فرض قيام الليل في ابتداء الدعوة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: فرض الله - عَزَّ وَجَلَّ - على نبيه ﷺ قيام الليل، فقام النبي ﷺ وقام الصحابة معه حولًا كاملًا، واحتجز الله - عَزَّ

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٣) «الإشربة»، ومسلم (٢/ ٤١) «الإيمان».

قال النووي: القول الصحيح الذي قاله المحققون: إن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يُقال: «لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا الآخرة» - «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٤١).

وَجَلَّ - خاتمة السورة اثنى عشر شهرًا، ثم نزل بعد ذلك التخفيف[١].

وإنما قصدت رضي الله عنها الأمر بقيام الليل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤]. وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠]، أليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وقبل أن تنزل الحدود، ولئن قال الإمام البخاري: «العلم قبل القول والعمل، واستدل بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فلقد قال الصحابة رضي الله عنهم ما هو أبلغ من ذلك، هو أن الإيمان قبل العلم، وقبل العمل.

روى الحكام بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن».

وكان الواحد منهم يقول لأخيه: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسون يذكرون الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فهكذا تربى الإيمان في قلوب الصحابة حتى صار أرسخ من الجبال، وأعلى من السحاب، وظهرت بركات هذا الإيمان في مواقفهم الإيمانية فكانت على أعلى مستوى في البذل والتضحية في سبيل الله - عَزَّ وَجَلَّ - وصدق الأخوة وصدق التوبة والولاء والبراء والصدق مع الله - عَزَّ وَجَلَّ - ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان من بركات هذا الإيمان كذلك انتصارات في كل ميدان، وعلو ورفعة وعزة في الدنيا والآخرة، ولا شك في أن أعمال القلوب وعباداتها أجل وأعلى من أعمال الجوارح فالإخلاص والصدق والتوكل والمحبة أعلى من أعمال الجوارح، بل هي ثمرة لأعمال الجوارح، ولا ينتفع العبد

(١) رواه مسلم (٦/ ٢٦) «صلاة المسافرين»، وأحمد (٦/ ٥٤)، وأبو داود (٨/ ١٣ عون) «قيام الليل»، والنسائي (٤/ ١٩٩) «قيام الليل».

بطاعات جوارحه حتى يكون الباعث لها الإخلاص والمحبة وغير ذلك، وبالأحوال الإيمانية والأعمال القلبية فاق الصحابة رضي الله عنهم من هم أكثر منهم صلاة وصيامًا واجتهادًا كما قال ابن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

كان في التابعين ثلاثون تابعيٌّ لو قيل لأحدهم القيامة غدًا لما استطاع أن يزيد شيئًا، ولكن الصحابة كانوا أفضل منهم، لما تقرر في قلوبهم من معاني الإيمان، وما تهيأ لهم من الأحوال، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيض عليهم مما أفاض الله - عَزَّ وَجَلَّ - على قلبه من الأحوال الشريفة والمعاني اللطيفة والمعارف القلبية.

قال أنس رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا[1]، فبمجرد أن فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسوا بتغير القلوب، ولذا ندب العلماء إلى مجالسة العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين.

فصحبة الزهاد والعباد ترغب في الزهد والعبادة، وصحبة البطالين أهل الشهوات والغفلات تسكب في القلوب الغفلة والشهوة، كما يقال: المجالسة سبب المجانسة، فمن جالس المسرورين سرى إلى نفسه السرور، ومن جالس المحزونين سرى إليه الحزن، ويقولون كذلك بأن النفس كالريح إذا مرت بالطيب حملت منه وإذا مرت بالخبث حملت منه فنسأل الله أن يطيب قلوبنا بمحبته، وجوارحنا بطاعته، وأن يوفقنا لمجالسة الصالحين من عباده، ويؤهلنا لدخول الجنة، والنجاة من النار.

---

(١) رواه الترمذي (١٣/ ١٠٤-١٠٥) «المناقب»، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه [١٦٣٠] «الجنائز»، والحاكم (٣/ ٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، وأقره الذهبي وصححه الألباني.

openkanal.com

فالتربية الإيمانية هي الارتقاء بالأحوال الإيمانية لشباب الصحوة وتغذية شجرة الإيمان في قلوبهم، وإنما يتم ذلك - إن شاء الله - بأمور:

١- منها تعميق معرفتهم بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته:

فكلما ازداد علم العبد بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته يزداد حبًّا لله - عَزَّ وَجَلَّ -، وتوكلًا وخشية وإنابة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨]، وقال النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» (١)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار بالله جهلًا».

وقيل للإمام الشافعي يا عالم: فقال: إنما العالم من يخشى الله.

فمهما علم العبد من صفات ربه الجليل - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يزداد إيمانًا بأنه أهل أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يُكفر، فالنفس مفطورة، على محبة الكمال والجمال، وكذا محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وإذا تدبر العبد في أسماء الله - عَزَّ وَجَلَّ - وصفاته علم أن أسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأنه - عَزَّ وَجَلَّ - هو وحده المتصف بصفات الربوبية كالخلق والإماتة والإحياء والتربية بالنعم وهو - عَزَّ وَجَلَّ - هو وحده الذي يجب التحاكم إليه، والرضا بحكمه، والكفر بكل حكم يخالف حكمه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٤٠].

وكذا هو وحده المستحق لكل ألوان العبادة الظاهرة والباطنة، فإنه وحده الإله الحق وما سواه آلهة لا تستحق عبادة من العبادات لأنه وحده الذي اتصف بصفات الربوبية وبالأسماء الحسنى والصفات العلا، ولأنه وحده القادر على جلب جميع المنافع لعابده، ودفع جميع المضار، وهو الذي تألهه القلوب، وتنجذب إليه محبة وتوكلًا وإنابة وخشية.

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥١٣) «الأدب»، ومسلم (١٥/ ١٠٦) «الفضائل»، وأحمد (٦/ ٤٥، ١٨١).

قال النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها أو قيامه بعبوديتها فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباد، واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا له، مطرقًا واقفًا بين يديه، وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه، معروض عليه، مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم، كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء، والتولية، وتقلب الدول، ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، فمن أعطى المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، ولا قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليًا، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته، وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء وكذلك إذا أشهد قلبه

---

(١) رواه أحمد [٢٨٦-٢٨٨]، والترمذي (٩/ ٣١٩-٣٢٠ عارضة) «أبواب صفة القيامة»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأصح طرق الحديث طريق حنش الصنعاني التي أخرجها الترمذي وهو إسناد حسن لا بأس به.

صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد. كما أن خلق الخلق جميعًا وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة[١].

وقال الدكتور ضياء الدين الجماس: «إن التفكير الدائم المستمر بأسماء الله تعالى وفهم معانيها يجعل القلب محبًا لهذه الذات العظيمة الكاملة الجميلة الأسماء، فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلهي، فالمفكر في هذه الطريق سيشعر بمشاعر لا يجد حلاوتها في غيره، فسيعاود مرات ومرات، حتى يُجِلَّ الله ويعظمه، ومن يجل الله يغفر له فيصفو قلبه، ويشعر بالقرب من حضرة الله، لا أقول قرب مكان، بل مكانة ومعرفة ومحبة».

وفي الحديث الشريف: «مَنْ تقرب إلى الله شبرًا تقرب إليه ذراعًا، ومن تقرب إلى الله ذراعًا تقرب إليه باعًا، ومن أقبل إلى الله ماشيًا أقبل الله إليه مهرولا»[٢]، والله أعلى وأجل.

وهكذا تكون العلاقة الرائعة الجميلة بين العبد وربه، لينقله من الإيمان إلى التقوى فالإحسان[٣].

٢- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان تدبر القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام

فإن من صفات المؤمنين أنهم يزدادون إيمانًا بسماع القرآن وتلاوته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) نقلًا عن «معارج القبول» (١/ ٥٨) لحافظ أحمد. ط. السلفية.

(٢) رواه مسلم (١٧/ ١٢) «الذكر والدعاء وحسن الظن». قال النووي: والباع طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، وقال الباجي: وهو أربعة أذرع «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧/ ١٢).

(٣) «التفكير في الأسماء طريق العلماء» [١٩] ط. دار الهجرة.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

ولذا ندبنا الله – عَزَّ وَجَلَّ – إلى قراءة القرآن وسماعه وتدبره فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

قال العلامة السعدي – عليه رحمة ربنا العلي –: «إن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن، ومعارفه، ما يزداد به إيمانًا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]».

وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضًا ويوافق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف تيقن أنه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه من التناقض والاختلاف أمورًا كبيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وهذا من أعظم مقويات الإيمان يقويه من وجوه كثيرة، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة، والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير فكيف إذا أحسن تأمله، وفهم مقاصده وأسراره، ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وكذلك معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله، وكلها من محصلات الإيمان ومقوياته، فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله – عَزَّ وَجَلَّ – وسنة رسوله ﷺ ازداد العبد إيمانًا ويقينًا.

فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة للإيمان، والمقوية له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

فاستخراج بركة القرآن - التي من أهمها حصول الإيمان - سبيله وطريقه تدبر آياته وتأملها، كما ذكر أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع المعتدي على الدين من اعتدائه.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، أي: فلو تدبروه حق تدبره لمنعهم مما هم عليه من الكفر والتكذيب، وأوجب لهم الإيمان واتباع من جاء به.

و قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ [يونس: ٣٩]، أي: فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه لمنعهم من التكذيب، وأوجب لهم الإيمان[١].

٣- ومما يتربى به الإيمان في قلوب شباب الإسلام معرفة النبي عليه الصلاة والسلام، وقد كان يكفي من عاصره صلى الله عليه وسلم أن ينظر في وجهه الكريم فيرى علامات الصدق ودلائل النبوة كما قال حسان:

لو لم يكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

وكما حدث من عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكان حبرًا من أحبار اليهود، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى طيبة الطيبة، ذهب ونظر إلى وجهه ثم قال: «أشهد بأن وجهك ليس بوجه كذاب»، ودخل في الإسلام. وصار من خيار أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة دار السلام، فمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم وما جبل عليه من الأخلاق الكريمة، وما أيده الله - عَزَّ وَجَلَّ - به من المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، ومعرفة سيرته صلى الله عليه وسلم، وما أيده الله - عَزَّ وَجَلَّ - به من الانتصارات، والعصمة من الناس، ومن المحبة في قلوب أتباعه، فكل ذلك مما يزيد إيماننا بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وبرسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

---

(١) «باختصار من التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ/ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي (٣/ ١٠٨-١١١).

فمعرفته توجب الإيمان به وتصديقه ﷺ، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

فدراسة السيرة النبوية والمعجزات، ودلائل النبوة، ومعرفة شرف نسبه ﷺ، وأخلاقه وهديه، من أعظم أسباب زيادة الإيمان (١).

٤- ومما يتربى به الإيمان في قلوب شباب الصحوة دراسة محاسن الإسلام:

إذا تدبر العبد محاسن الإسلام، وعلم أنه دين الله الخالد الذي ارتضاه للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ازداد إيمانه بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وبرسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولما أكمل الله - عَزَّ وَجَلَّ - على نبيه ﷺ الدين، وتم التشريع، نزل قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمهما تدبر العبد محاسن الإسلام، علم أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لم يأمر بأمر إلا وفيه صلاح عاجل أو آجل.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

يقول الشيخ عبد العزيز محمد السلمان: «كلما تدبر العاقل اللبيب أحكام الإسلام قوي إيمانه وإخلاصه، وعندما يتأمل ما يدعو إليه هذا الدين القويم يجده يدعو إلى

(١) باختصار وتصرف من «شجرة الإيمان» للمؤلف [٤١-٤٣].

مكارم الأخلاق، يدعو إلى الصدق، والعفاف، والعدل، وحفظ الجوار، وإكرام الضيف، والتحلي بمكارم الأخلاق، يدعو إلى تحصيل التمتع بلذائذ الحياة في قصد واعتدال، يدعو إلى البر والتقوى. وينهى عن الفحشاء والمنكر والإثم والعدوان، لا يأمر إلا بما يعود على العالم بالخير والفلاح، ولا ينهى إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد [١].

٥-ومما يتربى به الإيمان في قلوب الشباب التفكر في مخلوقات الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: في إيجادهما على ما هم عليه من الأمور المدهشة، تلك في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح، والخواص ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: في تعاقبهما، وكون كل منهما خلفه الآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر، وانتقاصه بازدياده ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ أي: لأدلة واضحة على الصانع، وعظيم قدرته، وباهر حكمته، والتنكير للتفخيم كمًّا وكيفًا، أي: كثيرة عظيمة ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: لذوي العقول المجلوة بالتزكية بملازمة الذكر دائمًا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ أي: فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله، المفيد صفاء الظاهر، المؤثر

---

(١) باختصار وتصرف من رسالة «محاسن الدين الإسلامي» [٥-١٢] الطبعة الثانية.

وانظر: لمزيد من الفائدة رسالة «محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه» لمحمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحقيق وتعليق ساعد عمر غازي.

في تصفية الباطن، فالمراد تعميم الذكر بها، لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالبًا ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في إنشائهما بهذه الأجرام العظام، وما فيها من عجائب المصنوعات، وغرائب المبتدعات، ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فيعلموا أن لها خالقًا قادرًا مدبرًا حكيمًا لأن عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها تعالى كما قال:

وفي كلِّ شيءٍ له آية ... تدل على أنه الواحد

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ بمعنى يتفكرون قائلين ذلك، وكلمة ﴿هَذَا﴾ متضمنة لضرب من التعظيم، أي: ما خلقت هذا المخلوق العظيم الشأن عبثًا عاريًا من الحكمة، خاليًا من المصلحة، بل متضمنًا لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون دلالة على معرفتك، ووجوب طاعتك، واجتناب معصيتك، وأن يكون مدارًا لمعايش العباد ومنارًا يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد»[(١)].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[الذاريات: ٢٠-٢١]

وكان السلف رضي الله عنهم يفضلون تفكر ساعة على قيام ليلة؛ لأن التفكر ساعة يثمر في القلب من الإيمان بعظمة الله وقدرته وجلاله والخوف منه أكثر مما يثمر قيام ليلة.

ولما سألت أم الدرداء عن أكثر عبادة أبي الدرداء قالت: كان أكثر عبادته التفكر.

٦- ومما ينبغي الاهتمام به في تربية الإيمان الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»[(٢)].

---

(١) باختصار من «محاسن التأويل» للقاسمي (١/ ٣٢١-٣٢٤) ط. دار الفكر.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٤٨-٣٤٩) «الرقاق»، وأبو نعيم (١/ ٤)، وهو في «الصحيحة» رقم [١٦٤].

فأول ما يقرب إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - أداء الفرائض كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله وحسن النية فيما عند الله - عَزَّ وَجَلَّ -».

فالفرائض هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن - عَزَّ وَجَلَّ - يفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات.

قال العلماء: «ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ - دون الفرائض؟ وأجاب بعضهم: بأن العبد يفعل الفريضة خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها، فيفعلها العبد بإخلاص نية التقرب والتحبب إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ - دون الفرائض فينبغي على المربي أن يهتم بتحبيب العبادات إلى الشباب، بترغيبهم في قيام الليل وتلاوة القرآن والأذكار الموظفة وغير الموظفة والصيام وقضاء حوائج الناس، وطلب العلم النافع حتى يكون ذلك شغلهم الشاغل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة، واللغو وغير ذلك وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات، شغلت بالمعاصي والعثرات، فلا شك في أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروى بالصيام والقيام وتلاوة القرآن وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه، وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة، فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٧- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان أن يعيش العبد في أجواء إيمانية ويتنفس هواء الإيمان، وأن يتباعد عن أجواء المعاصي والشَّهوات والشُّبهات:

فلا شك في أن الإيمان ينمو ويترعرع في أجواء الإيمان، وعند تنفس هواء الإيمان في مجالس الذِّكر، وصلاة الجماعة وعيادة المرضى وتشييع الجنائز، والتردد على الأماكن المقدسة

للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي، ولا شك كذلك في أن الإيمان يضعف ويضمحل إذا تعرض العبد لأجواء الإباحية والفجور، والتبرج والسفور، فعلى المُربين أن يهتموا بتحبيب أجواء الإيمان في قلوب شباب الصحوة، وكذا عليهم تحذيرهم والتأكيد عليهم في البعد عن أماكن الكفر والفسوق والعصيان كأماكن الإباحية والفجور والسفور. قال بعضهم: ليس شيء أضر على قلب العبد من مجالسة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم.

ومن فضل الله - عَزَّ وَجَلَّ - على العبد أن يوفقه إلى الصُّحبة الصالحة كما قال بعض السلف: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك، أن يوفقه إلى صاحب سنة يحمله عليها.

كذا من فضل الله - عَزَّ وَجَلَّ - على العبد أن يوفقه إلى الأزمنة الشريفة والأمكنة الشريفة، وأن يوفقه إلى الطاعة والعبادة، فنسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يوفقنا لطاعته وأن ييسر لنا أسباب رحمته وجنته.

٨- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان كثرة ذِكر الله - عَزّ وَجَلّ -:

قال ﷺ: «الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت»[(١)].

وهذه إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة القلب، ونماء الإيمان فيه. وكان شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يجلس في ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - من صلاة الفجر إلى قريب من صلاة الظهر ويقول: «هذه غدوتي ولو لم أتغد سقطت قوتي».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أُخرج من الماء».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٠٨) «الدعوات»، ومسلم (٦/ ٦٨).

ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بَورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبيل الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورًا وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر هو عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يذكرون معبودهم ومحبوبهم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب وصقالتها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسى في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسنة، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته».

قال الحسن البصري: «تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق»[1].

٩- ومما يتربى به الإيمان المشاركة في الدعوة إلى دين الرحمن:

وقد سمى الله - عَزَّ وَجَلَّ - وحيه روحًا وسماه نورًا.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٣-٤٢٤)، وانظر: فوائد الذكر في «الوابل الصيب» لابن القيم.

فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

فالداعي إلى الله – عَزَّ وَجَلَّ – يحيي قلوب الناس بشرع الله فيحيي الله قلبه بالإيمان ومحبة الرحمن، والجزاء من جنس العمل.

قال النبي ﷺ: «نضر الله امرأً سمع منا حديثًا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[(١)].

فكما ينضر الداعية قلوب الناس بشرع الله ينضر الله قلبه ووجهه.

قال سفيان بن عيينة: لا تجد أحدًا من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة لدعوة رسول الله ﷺ.

ومن مارس الدعوة إلى الله – عَزَّ وَجَلَّ – يعلم كيف يزداد بها الإيمان، وتحيا بها القلوب، وتقترب من علام الغيوب، وغفَّار الذنوب، فنسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من الدعوة إلى دينه والتشرف بطاعته وعبادته، والله الموفق.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، والترمذي (١٠/ ١٢-١٢٦ عارضة) «أبواب العلم»، وابن ماجه [٢٣١] «المقدمه»، وابن حبان رقم [٦٨٠] «الإحسان»، والدارمي (١/ ٧٥)، وللحديث طرق وروايات كثيرة، وذكره السيوطي في «الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة» وصححه الألباني.

obeikandi.com

[٤] التربية الخلقية

قال ابن ماسكويه: «الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكرٍ ولا روية.

وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكون طبيعيًا: من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب.

وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيءٍ، كالذي يجبن من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله.

ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر، ثم يستمر عليه أولًا فأولًا حتى يصير ملكةً وخلقًا[١].

وهذا الثاني هو المعني بالتربية الخلقية، والمقصود بها تربية الشباب على الأخلاق الفاضلة، كالصدق، والأمانة والاستقامة والإيثار وغير ذلك من الأخلاق الكاملة الفاضلة.

مدح الله - عَزَّ وَجَلَّ - نبيه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعلى دين عظيم، لا دين أحب إليَّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام»، فجعل الدين كله خلقًا، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين.

وقال الحسن رضي الله عنه: «هو آداب القرآن».

وقال ابن القيم: «إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن».

---

(١) «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف» لابن ماسكويه، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب [٤١]، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية.

obeikandi.com

وفي «الصحيحين» أن هشام بن حكيم سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن». فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئًا[١].

قال النووي: «معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته»[٢].

قال المفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله: «ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات متنوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روى عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر أعظم بصدورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقى محمد ﷺ لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتًا راسخًا مطمئنًا، لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير»[٣].

وقال كذلك: «وقد تمثلت هذه الأخلاق الإسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها وإطرادها وثباتها في محمد ﷺ، وتمثلت في ثناء الله العظيم وقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤][٤].

وقال النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٥].

---

(١) انظر «صلاح الأمة في علو الهمة» لأخينا الفاضل الشيخ/ سيد حسين العفاني (٥/ ٢٢٥)، والحديث رواه مسلم [٧٦٤] «صلاة المسافرين مطولًا»، وأحمد (٦/ ٤٥).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٦/ ٣٨-٣٩).

(٣) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٦٥٦) ط. دار العلم بجدة.

(٤) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٦٥٨).

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٧١)، والحاكم (٢/ ٦٣١) «التاريخ».

وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الألباني [٤٥]: وهذا إسناد حسن، وابن عجلان إنما أخرج له مسلم مقرونًا بغيره، وله شاهد أخرجه ابن وهب في «الجامع» فالحديث صحيح.

obeikandi.com

قال فضل الله الجيلاني: «لا يكون دين من الأديان خاليًا من مكارم الأخلاق، لكن لم تكن الأخلاق الكريمة مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة، فهذا معنى «أتمم مكارم الأخلاق» أي: أبلغ نهايتها»[١].

قال الأستاذ/ محمد محمود الياتي ما ملخصه: «الأخلاق هي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وعلى ضوئها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح.

قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته إن التخلق يأتي دونه الخلق

وبما أن الرسول ﷺ هو القدوة الحسنة فقد اتصف بالأوصاف الخلقية المحمودة كالعلم والحلم والتواضع والكرم والصدق والوفاء وشدة الحياء وحسن المعاشرة والآداب إلى غير ذلك من الخِصال العلية والأخلاق المرضية. أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته لِم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خُلُقًا، وما مسست خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مِسكًا ولا عِطرًا أطيب من عرق رسول الله ﷺ»[٢].

قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عندما جاءها في أول بدء الوحي خائفًا: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب»[٣].

---

(١) «فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد» (١/ ٢٧١).

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٧١) «الأدب»، ومسلم [٢٣٠٩] «الفضائل».

(٣) رواه البخاري (١/ ٣٠) «بدء الوحي».

obeikandl.com

وعن أنس رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ سَبابًا، ولا لعانًا، ولا فاحشًا، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة: ما له تربت جبينه»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول ﷺ بيده خادمًا قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين إلا كان أحبهما إليه أيسرهما»، وفي رواية: إلا أختار أيسرهما، إلا أن تكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، وما انتقم رسول الله ﷺ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله»(٢).

أقوال السلف - رحمهم الله - في حسن الخلق:

قال الحسن: «حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى».

وقال أبو عثمان: «هو الرضا عن الله تعالى».

وقال سهل التستري: «أدناه الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه.

أن لا يتهم الحق في الرزق، ويثق به، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس».

وقيل: «حُسن الخلق بذل الجميل، وكف القبيح».

وقيل: «التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل».

وقال يحيى بن معاذ: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق».

وقال رحمه الله: «سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات».

وقال الجنيد: «أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع، والسَّخاء، وحُسن الخلق، وهو كمال الإيمان».

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٦٧) «الأدب» وأحمد (٣/ ١٢٦، ١٤٤، ١٥٨).

(٢) رواه مسلم [٢٣٢٧] «الفضائل»، وأبو داود [٤٧٥٦ عون] «الأدب» مختصرًا.

obeikandl.com

وقال الفضيل: «لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إلى من أن يصحبني عابد سيئ الخلق».

وقال يوسف بن أسباط: «علامة حسن الخلق عشر خصال:

١- قلة الخلاف.
٢- وحُسن الإنصاف.
٣- وترك طلب العثرات.
٤- وتحسين ما يبدو من السيئات.
٥- والتماس المعذرة.
٦- واحتمال الأذى.
٧- والرجوع بالملامة عن النفس.
٨- والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره.
٩- وطلاقة الوجه للصغير والكبير.
١٠- ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

وذهب الغزالي إلى أن حُسن الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال الجميلة المحمودة شرعًا وعقلًا بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فها هنا أربعة أمور:

أحدها- فعل الجميل.

والثاني- القدرة عليه.

والثالث- المعرفة به.

والرابع- هيئة للنفس بها تميل إلى الحسن ويتيسر عليها.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، رب شخص خلقه السخاء ولا يبذل، إما لفقد المال، أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء.

وليس هو عبارة عن القدرة لأن نسبة القدرة إلى الإمساك والإعطاء واحد، وكل إنسان خلق بالفطرة قادرًا على الإعطاء والإمساك.

obeikandl.com

وليس هو عبارة عن المعرفة، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعًا على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، فالخلق إذًا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة»[١].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحُسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والفداء الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم، فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها ويكبحها عن الجزع والبطش.

والعدل: يحمله على اعتدال الخلق وتوسطه فيما بين طرفي الإفراط والتفريط»[٢].

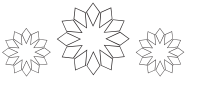

(١) نقلًا عن «صلاح الأمة» (٥/ ٢٤٠).

(٢) باختصار من «مدارج السالكين» (٢/ ٣٠٨-٣١١).

obeikandi.com

الأحاديث النبوية الشريفة في فضل حسن الخلق

قال النبي ﷺ: «أثقل شيء في الميزان، الخُلق الحسن»(١).

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا»(٢).

وقال ﷺ: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقًا، الثرثارون والمتفيهقون، والمتشدقون»(٣).

وقال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحس خلقه درجات قائم الليل صائم النهار»(٤).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها»(٥).

---

(١) رواه أبو داود [٤٧٧٨ عون] «الأدب»، والترمذي [٢٠٠٣] «البر والصلة»، وأحمد (٦/ ٤٤٦/ ٤٤٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٧٠]، وابن حبان (٢/ ٤٨١) «الإحسان»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وابن حبان (٢/ ٤٧٩ الإحسان) «البر والإحسان»، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٩٣)، وابن حبان (٢/ ٤٨٢) «الإحسان»، والبغوي في «شرح السنة» وصححه الألباني [٣٣٩٥].

(٤) رواه الحاكم (١/ ٦٠) « الإيمان، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط»، انظر: «مجمع البحرين» رقم [٢٩٢٦]، وصححه الألباني في «الجامع» رقم [١٧٣٩].

obeikandl.com

وقال ﷺ: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوَّام القوّام بآيات الله بحسن خلقه وكرم ضريبته»(١).

وقال ﷺ: «إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من خُلُقٍ حسن»(٢).

وقال ﷺ: «إنما بعثت لأُتمم صالح الأخلاق»(٣).

وقال ﷺ: «خِياركم أَحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، وشراركم الثرثارون والمتفيهقون المتشدقون»(٤).

وقال ﷺ: «خير ما أُعطى الناس خلق حسن»(٥).

وقال ﷺ: «ليس شيء أثقل في الميزان من الخُلقِ الحسن»(٦).

أمثلة من حُسن خلق السلف رضي الله عنهم:

شتم رجل سلمان الفارسي فقال له: «إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول».

وشتم رجل الربيع بن خثيم فقال له: «يا هذا سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول».

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٥٢٢].

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [١٩٧٣].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» رقم [٧٩٨٨] (باب حسن الخلق) ط. زغلول، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٢٥٥].

(٥) رواه الحاكم مطولًا (١/ ١٢١) «العلم»، وقال: صحيح ولم يخرجاه وكذا في (٤/ ١٩٩) «الطب»، وقال: هذا حديث أسانيده صحيحة كلها على شرط الشيخين ولم يخرجاه والعلة عندهم فيه أن أسامة بن شرك ليس له راوٍ غير زياد بن علاقة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٣١٦].

(٦) رواه أحمد (٦/ ٤٤٦-٤٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٨٧٦].

obeikandi.com

وقالت له امرأة: يا مرائي. فقال: ما عرفني غيرك.

وقال علي بن يزيد: «أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانًا طويلًا ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا».

شتم رجل الأحنف بن قيس فسكت عنه وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه ما يمنعه من أن يرد علي إلا هواني عنده».

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيه، فقال الأحنف: «يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره».

وقال رجل لمالك بن دينار: «بلغني أنك ذكرتني بسوءٍ! قال: أنت أكرم علي من نفسي؟ إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي».

وقال رجل لبعض الحكماء: «والله لأَسُبنك سَبًّا يدخل معك في قبرك، فقال: معك يدخل لا معي».

وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك فقال: «أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب».

قال محمود الوراق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وأن كثرت منه علي الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

obeikandl.com

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: «أشهد أنك من الفاسقين. قال: ليس تقبل شهادتك».

سَبَّ رجل ابن عباس رضي الله عنهما، **فلما فرغ قال:** «يا عكرمة، هل للرجل حاجة فتقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى».

وعن علي بن الحسين بن علي: «أنه سبه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم».

فقال بعضهم: «جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعد عن الله، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير».

قال يحيى بن منده: «كان عمي سيفًا على أهل البدع، وهو أكبر من أن يثنى عليه مثلي، كان - والله - آمرًا بالمعروف. ناهيًا عن المنكر، كثير الذكر، قاهرًا لنفسه، عظيم الحلم، كثير العلم. قرأت عليه قول شعبة: من كتبت عنه حديثًا فأنا له عبد، فقال عمي: من كتب عني حديثًا فأنا له عبد».

قال خطيب الموصل أبو الفضل: «حدثني أبي قال توجهت من الموصل سنة ٤٥٩هـ إلى أبي إسحاق - يعني: الشيرازي - فلما حضرت عنده رَحَّبَ بي وقال: من أين أنت؟ فقلت: من الموصل. قال: مرحبًا، أنت بلدي.

قلت: يا سيدي أنت من فيروز آباد؟ قال: أما جمعتنا سفينة نوح؟ فشاهدت من حُسن أخلاقه، ولطائفه، وزُهده ما حبب إلى لزومه، فصحبته إلى أن مات».

وقيل: «إن أبا إسحاق نزع عمامته - وكانت بعشرين دينارًا - وتوضأ في دِجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتى سألوه وهو يدرس، فقال: لعل الذي أخذها محتاج».

obeikandl.com

قيل للأحنف بن قيس: «من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية فقال لها: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى».

كان الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ إذا قيل له: «إن فلانًا يقع في عرضك. يقول: والله لأغيظن من أمره - يعني: إبليس - ثم يقول: اللهم إن كان صادقًا فاغفر لي، وإن كان كاذبًا فاغفر له».

وكان أبو معاوية الأسود يدعو لمن نال منه.

وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبالغ في شتمه وهو ساكت.

فقيل له: ألا تشتمه كما شتمك، فقال: إني لا أعرف له شيئًا من المساوئ حتى أشتمه به ولا يحل لي أن أرميه بالكذب».

وقال رجل مرة لسالم بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «يا شيخ السوء، فقال له سالم: ما أراك أبعدت يا أخي»[1].

مسئولية المربين:

يقول الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: «على المربين ولاسيما الآباء والأمهات مسئولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير، وتخليقهم على مبادئ الأخلاق.

ومسئوليتهم في هذا المجال مسئولية شاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم، وتقويم اعوجاجهم، وترفعهم عن الدنايا، وحسن معاملتهم للآخرين.

---

(١) هذه الأمثلة مختصرة من كتاب أخينا الفاضل سيد العفاني (/ «صلاح الأمة في علو الهمة» (٥/ ٢٥٣-٢٧٢).

oneikanali.com

فهم مسئولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة والإيثار، وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين.

ومسئولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب، والشتائم، والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبي عن فساد الخلق وسوء التربية.

ومسئولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة، وإحساسات عاطفية نبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين.

إلى غير ذلك من هذه المسئوليات الكبيرة الشاملة، التي تتصل بالتهذيب وترتبط بالأخلاق.

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر الإسلام تعتمد في الدرجة الأولى على قوة الملاحظة والمراقبة، فجدير بالآباء والأمهات والمعلمين، وكل من يهمه أمر التربية والأخلاق أن يلحظوا في الأولاد ظواهر أربعة، وأن يعيروها اهتمامهم لكونها من أقبح الأعمال، وأحط الأخلاق، وأرذل الصفات، وهذه الظواهر مرتبة كما يلي:

١- ظاهرة الكذب.
٢- ظاهرة السرقة.
٣- ظاهرة السباب والشتائم.
٤- ظاهرة الميوعة والانحلال»[1].

جملة من الأخلاق التي ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم:

قال العلامة جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ ما ملخصه: «كل من أعار الوجود نظره البصير علم أن حاجة المرء إلى تأديب نفسه، لا تفوقها حاجة، لأن الإنسان إلى الشر أميل منه إلى الخير، وإلى الشهوات النفسية أميل منه إلى الكمالات الروحية، فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه، وتحليه بالمحاسن والفضائل، وتطهير نفسه من المساوئ والرذائل، فيصبح محمود الأقوال والأفعال، مثالًا للفضيلة والكمال، وهذه شذرة مما يلزمك أن

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٧٢-١٧٣).

تتخلق به من آداب نفسك: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، لا تستخفنَّ بفضائل شريف، لا تميلن إلى سخيف، لا تقولن هجرًا لئلا يسقط قدرك، لا تفعلن نكرًا لئلا يقبح ذكرك، إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرك من عدوك ما سكن، فكلام الإنسان بيان فضله، وترجمان عقله، فأقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل، وإياك وما يستقبح من الكلام فإنه ينفر عنك الكرام، ويوثب عليك اللئام، إياك واللجاج فإنه يوغر القلوب، وينتج الحروب، فاقتصر من الكلام على ما يثبت حجتك ويبلغك حاجتك، ومن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، لا تعود نفسك إلا ما تحظى بأجره وتحمد على ذكره، وإياك ومحاجة من يملكك قهره وينفذ فيك أمره، يستدل على رزانة الرجل بقلة نطقه ومقاله، وعلى فضله بفضل عمله واحتماله فأكرم إخوانك، وأكثر خلانك، واكفهم لسانك، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان، تعام عما تسوؤك رؤيته، وتغاب عما تضرك معرفته، ولا تشر على من لا يقبل منك، ولا تجب عما لا تسأل عنه، وإذا عاتبت فاستبق، وإذا صنعت معروفًا فاستره، وإذا صنع إليك فانشره، وإذا أذنبت فاعتذر، وإذا أذنب إليك فاغتفر، فالمعذرة بيان العقل، والمغفرة بيان الفضل، لا تزهد في رجل عرف فضله، وجرب عقله، ولا تُعِن قويًا على ضعيف، ولا تؤثر دنيا عل شرف، ولا تشر بما يعقب الوزر والإثم، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم.

الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غيرِ مذلة ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر، وتواضع من غير مذلة، ليكن ضالة عقلك التي ينشدها ونجعته التي يرتاده الحق، فاحكم به ولو على نفسك، ولا تكن ممن تأخذه العزة بالإثم، عليك بالنشاط والعمل، وترك البطالة والكسل، ولا تكن كلًّا على غيرك، فإن الرجل كل الرجل الذي يأكل من كسبه، ويشرب من ورده.

أقدم على جلائل الأعمال مع الصبر والثبات، واحمل نفسك على معالي الأمور والتثبت بأحسن الأعمال، والأمور العِظام والتهاون لنيلها بالآلام، فإن الكسل من النقائص التي توجب الخسائس، والشرور.

وقد قيل: إذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقت في بحر الحرمان.. ليكن مجلسك هادئًا، وحديثك موزونًا مرتبًا، وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبيك أصابعك وفرقعتها، والعبث بشاربك ولحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك وتنحنحك، والتمطي والتثاؤب في وجه الناس وفي الصلاة وغيرها.

اصغ إلى الكلام الحق ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، لا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتضيفك وسائر ما يخصك، إذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك، وتفكر في جهتك.

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو في حال المرض، وبادر بالتحية والبشر من تلقاه واكتم بؤسك، واجعل شكواك لمن يقدر على غِناك، ولا تحضر منازعة فإنك لا تخلو من قسط أذاها، ولو بالمطالبة بأداء الشهادة.

إياك والانبساط فإنه عورة من عوراتك، فلا تبذله إلا لمأمون عليه حقيق به، لا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدًا على ظلم، لا تعلم أحدًا من أهلك وولدك فضلًا عن غيرهم مقدار مالك، فإنهم إن رأوه قليلًا هنت عليهم وإن رأوه كثيرًا لم تبلغ رضاهم قط، واجفهم من غير عُنفٍ ولِن لهم من غير ضعفٍ ليكن لك فضل عُزلة؛ فإن كثرة الخلطة مجلبة الابتذال.

ومما يروى عن علي رضي الله عنه: إياك وفعل القبيح فإنه يقبح ذكرك ويكثر وزرك، إياك أن تستسهل ركوب المعاصي فإنها تكسوك في الدنيا ذِلة وتكسبك في الآخرة سخط الله. عليك بالحكمة فإنها الحلية، عليك بالحياء فإنه عنوان النبل، عليك بالسخاء فإنه ثمرة العقل، عليك بالأناة فإن المتأني حري بالإصابة عليك بحسن الخلق فإنه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة، عليك بلزوم الحلال، وحسن البر بالعيال، عليك بالصدقة تنج من دناءة الشح، عوِّد نفسك الجميل فإنه يجمل عنك الأحدوثة، ويجزل لك المثوبة، عود نفسك حسن الكلام تأمن الملام. كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء، كن للمظلوم

عونًا، وللظالم خِصمًا، كن للود حافظًا وإن لم تجد محافظًا، كن مؤخذًا نفسك مغالبًا سوء طبعك، وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك، كن بأسرارك بخيلًا، ولا تذع سرًّا أودعته فإن الإذاعة خيانة، كن حَسِن المقال جميل الأفعال، فإن مَقال الرجل بُرهان فضله، وفِعاله عنوان عقله، كن صموتًا من غير عي، فإن الصمت زينة العالم وستر الجاهل.

كن بعدوك العاقل أوثق منك بصديقك الجاهل. كن متصفًا بالفضائل مبرأ من الرذائل.

لا تأس على ما فات، لا تقولن ما يسوؤك جوابه، لا تركنن في مودة من لم تكشفه، لا تزهدن من شيء حتى تعرفه، لا تضمن ما لم تقدر على الوفاء به، لا تخبر بما لم تحط علمًا به، لا تأمن البلاء في أمنك ورخائك، لا تعدن شرًّا ما أدركت به خيرًا، لا تعدن خيرًا ما أدركت به شرًّا، لا تتكلم بما لا تعلم فكفى بذلك جهلًا، لا تمسك عن إظهار الحق إذا وجدت له أهلًا، لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال.

لا تُعود نفسك اليمين فإن الحلاف لا يسلم من الإثم، لا تعود نفسك الغيبة فإن معتادها عظيم الجرم، لا تيأس من الزمان إذا منع، ولا تثق به إذا أعطى، كن على أعظم الحذر، لا يُؤنسك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل، لا تخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة، وعبرة تفيدك عِصمة، لا تسيئ الخطاب فيسوءك الجواب، ولا تحارب من لا يعتصم بالدين، فإن مغالب الدين محروب[1]، لا تغالب من لم يستظهر بالحق فإن مغالب الحق مغلوب.

لا تجهل نفسك فإن الجاهل بنفسه جاهل بكل شيء»[2].

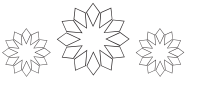

(١) أي: مهزوم في الحرب.

(٢) «جوامع الآداب في أخلاق الأحباب» لجمال الدين القاسمي الدمشقي [٦-١٥] باختصار ط. مؤسسة قرطبة.

obeikandl.com

[٥] التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية

مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة الآداب النبوية والسنن المصطفوية، وهذه الآداب كثيرة منها ما يتلقاه المسلم في بيته ومدرسته بالقدوة الحسنة، ولكننا في أزمنة عزت فيها الأسوة الحسنة، وأقفرت منها أكثر بيوت المسلمين، واستبدل بكثير منها الآداب الغربية الكافرة، والأذواق المستوردة من حضارة الغرب الكافر، كنتيجة طبيعية لانتشار الأجهزة الخبيثة كالفيديو والتلفاز وأجهزة استقبال البث المباشر، التي أطاحت بكثير من القيم الإسلامية، والآداب النبوية، وقتلت غَيْرَةَ الرجال، وأضاعت حياء النساء، وصارت مجتمعات المسلمين لا تفترق كثيرًا عن المجتمعات الغربية الكافرة، فعلى القائمين على المناهج التربوية الاهتمام بإحياء الفضائل والآداب الإسلامية ونشرها وإشاعتها، والاهتمام بتدريسها، لعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- يبارك في هذه الجهود، ويستنقذ بها كثيرًا من أبناء المسلمين، حتى لا يجرفهم سيل المعاصي والشهوات، والإعراض عن رب الأرض والسموات، والله الموفق للطاعات والهادي لأعلى الدرجات.

وهذه جملة من الآداب الإسلامية التي ينبغي الاهتمام بها:

١- آداب بر الوالدين.
٢- آداب صلة الرحم.
٣- آداب الضيافة.
٤- آداب الجوار.
٥- آداب طلب العلم.
٦- آداب النظر.
٧- آداب اللسان.
٨- آداب الخلطة.
٩- آداب الذكر.
١٠- آداب الطعام.
١١- آداب النوم.
١٢- آداب السلام.
١٣- آداب السواك.
١٤- آداب العطاس والتثاؤب.
١٥- آداب الاستئذان.
١٦- آداب المجلس.
١٧- آداب السفر.

obeikandl.com

١- آداب بر الوالدين:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي أي العمل أحب إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»(١).

والبر اسم جامع للخير، وهو ضِد العقوق، ومعناه الصلة وفعل الخير والتوسع فيه، واللطف والطاعة.

ومن برهما: النفقة عليهما إذا احتاجا لقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

ومن برهما: توقيرهما واحترامهما، عن هشام بن عروة عن أبيه أو غيره أن أبا هريرة أبصر رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله.

ومن برهما: دعوتهما إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - روى مسلم وأحمد عن أبي كثير السحيمي قال: «سمعت أبا هريرة يقول: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني. إن أُمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى، فقلت لها: فأبت، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ادع لها فدعا، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب، فقالت: يا أبا هريرة إني أسلمت، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ادع الله لي ولأمي، فقال: «اللَّهُمَّ عبدك أبو هريرة وأمه أحبهما إلى الناس»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٩) «مواقيت الصلاة».

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٠٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم [٣٤]، ورواه مسلم بلفظ: «اللهم حبب عبدك هذا - يعني: أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين» رقم [٢٤٩١] «فضائل الصحابة».

obeikandi.com

ومن برهما: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما بعدهما.

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة ليلة قال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفر لهما. قال محمد: نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة.

ومن برهما: صلة أهل ودهما. ففي الصحيح عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلة أهل ود أبيه بعد أن يولي»(١).

ومن برهما: قضاء دينهما والحج عنهما، والوفاء بنذرهما.

عن ابن عباس قال: أمرت امرأة سنان بن سلمة الجهني أن يسأل رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج أفيجزي عن أمها أن تحج عنها؟ قال: «نعم لو كان على أمها دين فقضته عنها ألم يجزئ عنها؟ فلتحج عن أمها»(٢).

٢- آداب صلة الرحم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

أي اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أَصِل من وصلك، وأَقطع من قَطَعك؟»

قالت: بلى. قال: «فذاك لك»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ١١٠) «البر والصلة والآداب».

(٢) رواه النسائي (٥/ ١١٦) «مناسك الحج» وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» رقم [٢٤٧٠].

(٣) رواه مسلم رقم [٢٥٥٤] «البر والصلة».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقرءوا إن شئتم** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٢-٢٤]».

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[(١)].

قال السفاريني: قال البلباني: «واعلم أن المراد بصلة الرحمة موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصال كفايتهم بطيب نفسٍ عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر خاطرهم، مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعوتهم، والتواضع معهم مع غِناه وفقرهم، وقوته وضعفهم، ومدوامة مودتهم، ونصحهم في كل شئونهم، والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الصدقة والإحسان والهدية على سواهم، لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة، وفي معناه الهدية ونحوها، ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشح المبغض، عساه أن يرجع عن بغضه إلى مودة قريبة ومحبته».

وفي الحديث: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة»[(٢)].

واعلم أن هذا كله ليس بواجب، أكثره مندوب كما يعلم[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤١٥) «الأدب»، ومسلم (١٦/ ١١٤) «البر والصلة».

(٢) الحديث رواه النسائي (٥/ ٩٢) «الزكاة»، والترمذي [٦٥٨] الزكاة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٣) «غذاء الألباب» (١/ ٣٠٧) ط. دار العلم للجميع ومكتبة البيان، رقم [٥٣١].

٣- آداب الضيافة:

عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليله، والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه»(١).

قال ابن بطال: «سُئل عنه مالك فقال: يكرمه ويتحفه يومًا وليلة، وثلاثة أيام ضيافة. قلت: واختلفوا هل الثلاث غيرها أو بعد منها».

فقال أبو عبيد: «يتكلف له في اليوم الأول بالبر والألطاف، وفي الثاني والثالث يقدم له ما حضره، ولا يزيده على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به يوم وليلة، وتسمى الجيزة، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل، ومنه الحديث الآخر: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»(٢).

وقال الخطابي: «معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلة وفي اليومين الآخرين يقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه، فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة»(٣).

ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان مضيافًا كريمًا وكان له روغتان روغة شجاعة وروغة كرم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصَّافَّات:٩٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ [الذَّارِيَات:٢٦]، وراغ معناها: ذهب بخفية، وقوله: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وهو أجود البقر، وهذه عادة الكرماء المرحبين بضيوفهم.

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥٤٨٩) «الأدب»، ومسلم (٢/ ٢٧).

(٢) رواه أبو داود [٣٠١٣] «الخراج والإمارة» وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [١٢٣] وقد رواه البخاري ومسلم مطولًا.

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٩).

٤- آداب الجوار:

عن أبي شريح الخزاعي عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»(١).

قوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» المقصود المبالغة في إتيان هذه الأفعال، كما تقول لولدك: إن كنت ابني فأطعني، تحريضًا له على الطاعة، وتخصيص اليوم الآخر بالذكر لأن رجاء الثواب والعقاب كله راجع إلى الإيمان باليوم الآخر ومن لا يعتقده لا يرتدع عن شر ولا يُقدِم على خير، وتكريره للاهتمام والاعتناء بكل خصلة.

وقوله: «فليحسن إلى جاره» والإحسان إليه أن يعينه على ما يحتاج إليه ويدفع عنه السوء ويخصه بالنيل لئلا يستحق الوعيد والويل، وهذا أروع من قول النبي ﷺ في رواية: «فلا يؤذِ جاره» والأذى بغير حق محرم على كل أحد، لكن في حق الجار أشد تحريمًا، وفي الحديث: «فليكرم جاره» والإكرام بطلاقة الوجه، والكلام الطيب، والإطعام، وقد فسر عطاء الخرساني حق الجار بالإعانة، والإقراض والعيادة، والتعزية، والتهنئة، واتباع الجنائز، وأن لا تستطيل عليه في البناء حتى تحرمه من الريح والشمس مثلًا»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٣).

وقوله: «سيورثه» أي: يأمر بتوريث الجار من جاره، بأن يجعله مشاركًا في المال مع الأقارب بسهم يعطاه، مسلمًا كان أو كافرًا، عابدًا، أو فاسقًا..(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» (١/ ١٩١) لفضل الله الجيلاني. ط. السلفية.

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٥٥) «الأدب»، ومسلم رقم [٢٦٢٤] «البر والصلة».

(٤) باختصار من «فضل الله الصمد» (١/ ١٩٠).

obeikandl.com

قال الحسن: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار احتمال الأذى»[١].

٥- آداب طلب العلم:

ينبغي لطالب العلم أن يستحضر نية الإخلاص في الطب، فقد قال النبي ﷺ: «من طلب عِلمًا مما يبتغى به وجه الله لا يطلبه إلا ليصيب به عرض الدنيا لن يجد عرف الجنة يوم القيامة»[٢].

۞ وينبغي له أن يطلب العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا يطلب علم الكلام والفلسفة وما ضرره أكثر من نفعه.

۞ وينبغي له كذلك أن يختار من يتعلم منه، ولا يتعلم إلا ممن ظهرت ديانته، واشتهرت صيانته. قال مالك بن أنس: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

۞ وينبغي له أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام والتوقير، فإن هذا أقرب إلى الانتفاع به، قال الربيع: ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له.

۞ وينبغي له أن يتجنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل، إلا سببًا لابد منه للحاجة، فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

۞ وينبغي له أن لا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يضحك ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا يلتفت يمينًا ولا شمالًا من غير حاجة.

۞ ومن ذلك أن يدخل على شيخه كامل الخصال متطهرًا، ملتزمًا بالآداب الشرعية الظاهرة والخفية؛ كالتنظيف بإزالة الأوساخ، ونتف الإبط، وإزالة الروائح الكريهة، وتسريح اللحية والتطيب.

---

(١) «فضل الله الصمد» (١/ ٢٠٦).

(٢) رواه أبو داود [٣٦٤٧ عون] «العلم»، وابن ماجه (١/ ٩٣) «المقدمة»، وصححه الألباني رقم [٢٠٤] «صحيح ابن ماجه».

obeikandl.com

ومن ذلك أن يعمل بما يتعلمه. قال بعضهم: يهتف العلم بالعمل؛ فإن أجابه وإلا ارتحل. ومن العمل بالعلم تعليمه، والله الموفق للطاعات والهادي لأعلى الدرجات.

٦- آداب النظر:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقد أمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - بغض البصر، وصيانة الفرج، وقرن بينهما في معرض الأمر، وبدأ بالأمر بالغض لأن العين رائد للقلب كما قيل:

ألم تر أن العين للقلب رائد ... فما تألف العينان فالقلب آلف

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مُدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»(١).

وعن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال: «اصرف بصرك»(٢).

قال النووي: «ومعنى نظر الفجأة أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصدٍ فلا إثم عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٦) «الاستئذان»، ومسلم (١٦/ ٢٠٥-٢٠٦) «القدر»، وأحمد (٢/ ٢٧٦).

(٢) رواه مسلم (١٤/ ١٣٩) «الأدب»، والترمذي (١٠/ ٢٢٩) «الأدب»، والدرامي (٢/ ٢٧٨) «الاستئذان»، وأحمد (٤/ ٣٥٨-٣٦١).

إثم لهذا الحديث، فإن رسول الله ﷺ أمره بصرف بصره مع قوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾»[١].

وتتأكد هذه الآداب الشرعية مع كثرة تبرج النساء وقلة حَيائهن، فالواجب على المسلم أن يحرص على سلامة قلبه، ورضا ربه، بغض بصره، فالنظرة سهم مسموم من سِهام إبليس.

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا ... أنت القتل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... طوقه إنه يأتيك بالعطب

٧- آداب اللسان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[٢].

وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٣].

قال النووي: «في هذا الحديث حث على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم، وإلا أمسك»[٤].

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤/ ١٣٩).

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٥) «الأدب»، ومسلم (٢/ ١٨) الإيمان، وأبو داود [١٣٢عون] «الأدب»، وابن ماجه [٣٩٧١] «الفتن».

(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٦٦) «الرقاق»، ومسلم (١٨/ ١١٧) «الزهد»، والترمذي (٩/ ١٩٥ عارضة) «الزهد».

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٨/ ١١٧).

obeikandl.com

عن الحسن البصري قال: كانوا يقولون: «إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هَمَّ بشيءٍ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبهِ».

وآفات اللسان كثيرة خطيرة، منها الكلام فيما لا يعني، وفضول الكلام، والغيبة والنميمة، وكلام ذي الوجهين، والمدح، والقذف، وشهادة الزور، والكذب، والقول على الله بغير علم، وإن من أهون آفات اللسان خطرًا الكلام فيما لا يعني، وقد قال النبي ﷺ: «من حُسن إِسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(١).

وقال سهل بن عبد الله: «من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق».

وقال الحسن: «من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، فكيف بالغيبة والنميمة والزور وغير ذلك، نسأل الله السلامة والعافية».

٨- آداب الخلطة:

من أضر الأشياء على قلوب المؤمنين مخالطة أهل المعاصي والشهوات، فإنها توجب تشتت القلب وهمه وغمه وضعفه، وهل كان أضر على عم النبي ﷺ أبي طالب عند وفاته من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حَالوا بينه وبين كلمة لو قالها لأوجبت له السعادة الأبدية.

والضابط النافع في أمرِ المخالطة أن يُخالط الناس في الطاعات وأن يخالفهم في المعاصي وفضول المباحات، وإن دعت الحاجة إلى المخالطة في فضول المباحات، فليستعن بالله - عَزَّ وَجَلَّ - ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل

---

(١) رواه الترمذي (٩/ ١٩٦عارضة) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي أسامة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من هذا الوجه، ورواه ابن ماجه [٣٩٧٦] وحسنه النووي وابن عبد البر، ورجح ابن رجب إرساله وصححه الألباني.

قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظانًا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، يسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية، وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

وكل مخالطة ومحبة وخلة في غير طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ومحبته تنقلب يوم القيامة إلى عداوة ومشاقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]

وقال إبراهيم الخليل لقومه: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

٩- آداب الذكر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت»(١).

فمن آداب الذكر الإخلاص وحضور القلب، وتواطأ القلب واللسان عليه، والإكثار منه لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١]، ومن ذلك نظافة الثوب والبدن والطهارة والتطيب واستقبال القبلة.

---

(١) تقدم تخريجه.

ومن ذلك: التأدب مع الله - عَزَّ وَجَلَّ -، واستحضار عظمته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال شيخ الإسلام: «لما ذكر الله الذكر ذكر الخوف لأن الخوف مطلوب عند الذكر»[١].

ومن ذلك: قطع الذِّكر لرد السلام، وتشميت العاطس، وعند سماع المؤذن.

ومن ذلك: استعمال أصابع اليد في عَد الذكر لأن الصحابة كانوا يسبحون بأصابعهم.

ومن آداب الذكر: اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة الذاكرة لله سبحانه وتعالى. قال عز من قائل: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وهذا أدب تربوي يقتضي اتخاذ القدوة الصالحة الحسنة من الذين يذكرون الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ويعينون على ذكره ويذكرون المسلم بمولاه. قالوا عن أيوب بن تميم السختياني المحدث الشهير التابعي سيد شباب أهل البصرة: إنه كان إذا خرج إلى السوق، ورآه الناس، سبحوا وحمدوا وذكروا الله، لأن رؤيته تذكر بالله - عَزَّ وَجَلَّ -.

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضا	**أهدوك من نورهم ما يتحف الساري**
تروى وتشبع من سيماء طلعتهم	**بوصفهم ذكروك الواحد الباري**

والجليس السعيد من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرك، والسيئ المفلس من إذا ذكرت الله لم يعنك، وإذا سهوت لم يذكرك[٢].

(١) باختصار من «الآداب النبوية التربوية» لصالح بن علي أبو عراد [٣٧] ط. مكتبة أبها.

(٢) السابق [٣٨].

obeikandi.com

١٠- آداب الطعام:

۞ فمن آداب الطعام والشراب استحضار نية التقوي على طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

۞ ومن الآداب أن يختار الحلال الطيب من المطاعم والمشارب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢].

۞ ومن آداب الطعام غسل اليدين قبله.

۞ ومن ذلك التسمية في أوله، والأكل، والأكل مما يليه.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك»[(١)].

۞ ومن ذلك الاجتماع على الطعام لتأليف القلوب، وترقيقها وحصول البركة، كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أحضروا له الطعام قال: التمسوا بعض المساكين والفقراء، فلن آكل وحدي.

۞ ومن ذلك أن يبدأ بذكر الطعام.

۞ ومن ذلك التواضع في الجلوس لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا آكل متكئًا»[(٢)].

۞ ومن ذلك الأكل بثلاثة أصابع ولعقها بعد الأكل.

۞ ومن ذلك عدم النفخ في الطعام الحار، وألَّا يؤكل حتى يبرد، وإذا سقطت منه لقمة أماط عنها الأذى وأكلها، ولا يدعها للشيطان.

۞ ومن ذلك عدم الإكثار من الطعام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٤٣١) «الأطعمة»، ومسلم [٢٠٢٢] «الأشربة»، ومالك في «الموطأ» صفة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (٩/ ٤٥١) «الأطعمة»، والترمذي [١٨٣١] «الأطعمة»، وأبو داود [٣٧٥١عون] الأطعمة.

(٣) رواه مسلم (١٤/ ٢٥) «الأشربة» عن أبي موسى الأشعري، ورواه البخاري عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وقال بعض السلف: «إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة».

۞ ومن ذلك عدم ذم الطعام أو عيبه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»(١).

۞ ومن ذلك حمد الله تعالى بعد الطعام والشراب، لما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ليرضى على العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»(٢).

۞ ومن ذلك أن يدعو لمن أكل عنده بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ أطعم من أطعمني، واسق من سقاني»(٣).

وهناك آداب ليس عليها بخصوصها أدلة من الكتاب والسنة ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام الذي يعتبر به في مثل هذه المواطن فمن ذلك أن يأكل بلا تكلف، وأن لا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة، فإن ذلك يخجلهم، وأن لا يفعل ما يستقذره الناس في الغالب: كنفض اليد في الإناء، والأكل والفم مملوء بالطعام، وكذا الكلام وفي فمه طعام أو مجرد فتح فمه، والتجشؤ، وغير ذلك من الآداب التي تناسب الذوق السليم.

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٤٥٨) «الأطعمة»، ومسلم [٢٠٦٤] «الأشربة»، والترمذي [٢٠٣١] «البر والصلة»، وأبو داود [٣٧٤٥عون] «الأطعمة».

(٢) رواه مسلم [٢٧٣٤] «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار».

قال النووي: «وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب وقد جاء في البخاري صفة التحميد: الحمد لله حمدًا كثيرًا كافيًا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا» «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧/ ٨٠).

(٣) رواه مسلم [٥٥٠٢] «الأشربة».

obeikandl.com

١١- آداب النوم:

۞ ومن آداب النوم أن ينام على نية صالحة، كما قال معاذ: «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي».

۞ ومن ذلك أن ينام مبكرًا حتى يستطيع قيام الليل ويستقبل صلاة الفجر، وأذكار الصباح بنشاط، وقد نهى عن السمر بعد العشاء إلا للعلم النافع، أو تأنيس الرجل زوجته أو التشاور في مصالح المسلمين.

وكان عمر رضي الله عنه يعلو بالدرة من يسمر بعد صلاة العشاء، ويقول: أسمر أول الليل ونوم آخره.

۞ ومن ذلك أن يحاسب العبد نفسه قبل النوم على ما قاله وفعله في نهاره، فإن وقف على ذنب تاب منه فينام على توبة ويصبح على توبة.

قال بعض السلف: «من لم يتب كل صباح ومساء كان من الظالمين».

قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

۞ ومن ذلك ألا يبيت إلا ووصيته عند رأسه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله ما يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عنده»[(١)].

۞ ومن ذلك عدم التكلف في الفراش، أو المبالغة في نعومته، فإن ذلك أقرب للتقوى وهدى الصالحين، وأدعى إلى التوفيق لقيام الليل.

۞ ومن ذلك نفض الفراش قبل النوم للتأكد من خلوه من الهوام والحشرات،

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٤١٩) «الوصايا»، ومسلم [١٦٢٧] «الوصية»، قال النووي: وقد أجمع المسلمون على الأمر بها لكن مذهبنا ومذهب الجماهير أنها مندوبة لا واجبة.

obeikandl.com

ولما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري من خلفه عليه»(١).

۞ ومن ذلك خلع ملابس العمل، وارتداء ملابس للنوم، ويراعى في ملابس النوم أن تكون متسعة، غير مانعة للحركة، وفضفاضة نظيفة مصنوعة من القطن ساترة غير شفافة.

۞ ومن ذلك أن يتأكد من إطفاء المصابيح، وأنابيب الغاز، وإغلاق الأبواب، وتغطية الآنية، في «الصحيح» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطفئوا المصابيح إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكئوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب، ولو بعود تعرضونه، أو تعرضه عليه»(٢).

۞ ومن ذلك أن ينام العبد على طهارة ففي «صحيح ابن حبان» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات طاهرًا بات في شعاره ملك، فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللَّهُمَّ اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرًا»، والشعار ما يلي البدن من ثياب.

۞ ومن ذلك أن ينظف فمه بالسِّواك أو الفرشاة والمعجون.

۞ ومن ذلك أن ينام على شقه الأيمن، ويستقبل بوجهه القبلة، ويضع راحة اليد اليمنى تحت الخد الأيمن.

۞ ومن ذلك أن يتلو أذكار النوم الثابتة عن النبي ﷺ فمن ذلك قوله ﷺ: «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها،

---

(١) رواه البخاري (١١/ ١٣٠) «الدعوات»، ومسلم (٢٧١٤) «الذكر والدعاء».

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٨٧) «بدء الخلق»، ومسلم [٢٠١٢] «الأشربة»، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٢٨/ ٩٢٩).

وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[١].

۞ ومن ذلك ما رواه حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللّٰهُمَّ أموت وأحيا»[٢].

۞ وكذا يتلو أذكار الاستيقاظ من النوم، كما في حديث البخاري: كان النبي ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٣].

١٢- آداب السلام:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

كما أن السلام حق من حقوق المسلم على أخيه لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس»[٤].

وإفشاء السلام سبب جالب للمحبة والألفة بين المسلمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١١/ ١١٧) «الدعوات»، والترمذي [٣٤١٧] «الدعوات»، وأبو داود [٥٠٢٨عون]، وأحمد (٥/ ٣٨٥، ٤٠٧) «الأدب».

(٣) السابق.

(٤) رواه البخاري (٣/ ١٣٥) «الجنائز»، ومسلم [٢١٦٢] «السلام».

(٥) رواه مسلم رقم [٥٤] «الإيمان»، وأبو داود [٥١٧١عون] «الأدب»، وابن ماجه [٦٨] «المقدمة»، وقال النووي: فقوله ﷺ: «ولا تؤمنون حتى تحابوا» معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب.

۞ ومن آداب السلام أن يبدأ المسلم أخاه بالسلام، عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»(١).

۞ ومن آداب السلام أن يكون عند اللقاء وعند الفراق لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة»(٢).

۞ ومن ذلك السلام على الصبيان الصغار فعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله»(٣).

۞ ومن ذلك تكرير السلام إذا حجز حاجز بين المسلم وأخيه لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه»(٤).

۞ ومن ذلك أن يبلغ سلام من طلب منه تبليغه فإن ذلك أمانة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام» قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته(٥).

۞ ومن ذلك أن لا يبدأ الكافر بالسلام؛ لعزة الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام»(٦).

---

(١) رواه أبو داود [٥١٨٦عون] «الأدب»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم [٤٣٢٨].

(٢) رواه أبو داود [٥١٨عون] «الأدب»، والترمذي [٢٧٠٦] «الاستئذان»، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه البخاري (١١/ ٣٤) «الاستئذان»، ومسلم [٢١٦٨] «السلام».

(٤) رواه أبو داود [٥١٧٨عون] «الأدب»، وقال الألباني: صحيح موقوفًا، ومرفوعًا، وانظر: «الصحيحة» رقم [١٨٦].

(٥) رواه البخاري (٧/ ١٣٣) «فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم»، ومسلم [٢٤٤٧] «فضائل الصحابة».

(٦) رواه مسلم [٢١٦٧] «السلام»، وأبو داود [٥١٨٣عون] «الأدب»، والترمذي [٢٧٠٠] «الاستئذان».

وإذا سلم عليه الكافر ضيق عليه بقوله: «وعليكم».

۞ ومن ذلك أن لا يستعمل في التحية غير السلام، وأن يترك تحية الكفار.

۞ ومن ذلك أن يسلم الماشي على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، لقوله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»[(١)].

١٣- آداب السواك:

قال النبي ﷺ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[(٢)].

والسواك يعني: دلك الأسنان وتنظيفها باستعمال عود من شجر الأراك أو ما يقوم مقامه من الأشجار النافعة كالبشم وأصول الجوز ونحوها ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كان سُمًّا.

وكان النبي ﷺ يتسوك في كل أحيانه، ويتأكد السواك عند تغير رائحة الفم، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند القيام إلى الصلاة، قال النبي ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١١/ ١٧) «الاستئذان»، مسلم [٢١٦٠] «السلام».

وقال النووي: «هذا أدب من آداب السلام واعلم أن ابتداء السلام سنة ورده واجب فإن كان المسلم جماعة، فهو سنة كفاية في حقهم إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم فإن كان المسلم عليه واحدًا تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم» «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤/ ١٩٩).

(٢) رواه النسائي (١/ ١٠) «الطهارة»، وأحمد (٦/ ٤٧، ٦٢، ١٢٤، ٢٣٨)، والدارمي (١/ ٧٤) «الطهارة»، وصححه الألباني في «الإرواء» [٦٦].

(٣) رواه مسلم [٢٥٢] «الطهارة»، والدارمي (١/ ٧٤) «الطهارة».

وكذا عند قراءة القرآن، تطيبًا للفم، وتعظيمًا للقرآن وعند إتيان الجمعة تجملًا لما رواه أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «حق على كل مسلم الغسل والطِيب والسِّواك يوم الجمعة»(١).

وعند دخول البيت فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك»(٢).

قال بعض العلماء: «لما في ذلك من تهيؤ لمقابلة الأهل، والحديث معهم، ولأن السواك مبارك، وفيه أنس، وتغيير لرائحة الفم التي ربما تغيرت من كثيرة الحديث، فإن رائحة الفم تتغير بكثرة النوم، أو من كثرة السكوت، أو كثرة الكلام، فاستحب أن يتعاهد المسلم فمه بهذا السواك الجميل الذي ثبت عن معلم الخير عليه الصلاة والسلام»(٣).

١٤- آداب العطاس والتثاؤب:

فمن آداب العطاس أن يحمد العاطس ربه - عَزَّ وَجَلَّ -، وأن يدعو له إخوانه المسلمون بالرحمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه، يرحمك الله، فإذا قال يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويُصلح بالكم»(٤).

يقول الأستاذ صالح بن علي أبو عراد: «في ذلك توجيه نبوي يتمثل في أنه إذا عطس المسلم فإن عليه أن يحمد الله سبحانه على ما حصل له من نعمة ومنفعة بتلك العطسة التي

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [١٧٩٦].

(٢) رواه مسلم [٢٥٣].

(٣) «الآداب النبوية التربوية» [٧٦].

(٤) رواه البخاري (١٠/ ٦٢٣) «الأدب»، وأبو داود [٥٠١٢عون] «الأدب».

obeikandl.com

أخرجت الأبخرة المحتقنة في أنفه وخياشيمه، ولذلك شرع المربي الكبير والمؤدب العظيم ﷺ حمد الله على هذه النعمة؛ لأن حمد المنعم على النعمة مظهر من مظاهر كرم الأخلاق، وحب الحق، والاعتراف بالفضل، ومقابلة الجميل بالثناء عليه ثم إنه ورد في الحديث أن الله سبحانه يحب العطاس، وذلك لما فيه من إيقاظ للهمم، وتنشيط للجسم، ولما فيه من تذكير للإنسان بنعمة من نعم الله ليحمده عليها، ويذكره عندها، ثم يأتي بعد ذلك دور من سمعه ليشمته، أي: يقول له: «يرحمك الله»، وتشميت العاطس أدب تربوي نبوي اجتماعي، ينم عن خلق كريم وذوق رفيع لمجالس المسلمين، فالمسلم لا يتوانى عن تصيد أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم دعوة خيرة كريمة»[١].

۞ ومن آداب العطاس أن يحرم المسلم من التشميت إذا لم يحمد الله - عَزَّ وَجَلَّ - لما رواه أبو موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه»[٢].

۞ ومن الآداب وضع اليد أو طرف الثوب على الفم عند العطاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه - أي: فمه - وخفض صوته، أو غض بها صوته»[٣].

۞ ومن هذه الآداب التشميت إلى ثلاث مرات، فإذا عطس الرابعة دعا له بالشفاء، عن أبي هريرة مرفوعًا: «شمت أخاك ثلاثًا، فما زاد فهو زكام»[٤].

ويكره أكثر أهل العلم تشميت المرأة الأجنبية الشابة، ولا يُكره ذلك للعجوز، لأنه ليس هناك ريبة أو شهوة في الغالب.

(١) «الآداب النبوية التربوية» [٥٨].

(٢) رواه مسلم [٢٩٩٢] «الزهد».

(٣) رواه أبو داود [٥٠٠٨عون] «الأدب»، والترمذي [٢٧٤٥] «الأدب»، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود [٥٠١٣] «الأداب».

أما التثاؤب:

فمن آدابه أن يرد المسلم التثاؤب ما استطاع، لأنه اتباع للشيطان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإن تثاءب أحدكم، فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان»(١).

۞ ومن ذلك أنه إن لم يستطع رده وضع يده على فيه أو ثوبه، لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه - أي: فمه - فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب»(٢).

۞ ومن ذلك أن لا يرفع صوته بالتثاؤب ما استطاع، لما روى مسلم وأحمد والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإن أحدكم إذا قال ها..ضحك الشيطان منه»(٣).

١٥- آداب الاستئذان:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النور: ٢٧].

و قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ [النور: ٥٩].

فمن آداب الاستئذان أن يبدأ بالسلام.

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٦٢٦) «الأدب».

(٢) رواه مسلم [٢٩٩٥] «الزهد والرقائق».

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٦٦٢) «الأدب مطولًا».

عن كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارجع فقل السلام عليكم أأدخل..»[١].

۞ ومن ذلك أن يفصح عن اسمه إذا سئل، ولا يقول، أنا.

۞ ومن ذلك أن يستأذن ثلاثًا، فإن أذن له وإلا رجع لقوله صلى الله عليه وسلم: «الاستئذان ثلاث» فإن أذن لك وإلا فارجع[٢].

وكذا لو قيل له ارجع يرجع سليم القلب، مسرورًا بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٨].

۞ ومن ذلك ألا يقف في مواجهة الباب، لئلا تقع عينه على عورة من عورات البيت.

۞ ومن ذلك أن يتخير الوقت، فلا يهجم على أخيه في ساعة متأخرة من الليل، ولا في وقت راحته، أو طعامه، وأن لا يدق الباب دقًا عنيفًا، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يدقون أبواب النبي صلى الله عليه وسلم بالأظافير[٣].

١٦- آداب المجلس:

قال الأستاذ/ محيى الدين عبد الحميد: «للمجلس آداب يجب أن يعلمها الآباء إلى أبنائهم، ويتابعونهم عند تنفيذها..

١- الجلوس حيث ينتهي المجلس.

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي».

---

(١) رواه الترمذي [٢٧١٠] «الاستئذان»، وأبو داود [٥١٥٥عون]، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٨١٨].

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٨) «الاستئذان»، ومسلم [٢١٥٣] «الآداب».

(٣) بتصرف من «كيف نربي أولادنا إسلاميًا» لمحيى الدين عبد الحميد [١٩٨] ط. مؤسسة بدران.

obeikandl.com

٢- عدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما.

لقول النبي ﷺ: «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»(١).

وفي رواية أبي داود: «لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما»(٢).

٣- لا يجلس في وسط القوم بل يجلس محاذيًا للناس.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله من جلس في وسط الحلقة»(٣).

٤- لا يتناجى مع آخر إذا كان الحاضر ثلاثة نفر.

لقول النبي ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، من أجل أن ذلك يحزنه»(٤).

٥- إذا خرج من المجلس ثم رجع إليه فهو أحق به:

لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به»(٥).

٦- الاستئذان قبل الانصراف.

٧- أن يردد دعاء كفارة المجلس عند القيام: لما رواه الحاكم وأبو داود بسند حسن عن أبي برزة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يقوم من المجلس

(١) رواه أبو داود [٤٨٠٤عون] «الأدب»، والترمذي [٢٧٢٥] «الاستئذان»، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني [٤٠٤٠] «صحيح أبي داود».

(٢) رواه أبو داود [٤٨٢٤] «الأدب»، وحسنها الألباني [٤٠٥٣] «صحيح أبي داود».

(٣) رواه أبو داود [٤٨٢٣] «الأدب»، والترمذي [٢٧٥٣] «الأدب»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال ابن معين: أبو مجلز لم يسمع من حذيفة.

(٤) رواه البخاري (١١/ ٨٤) «استئذان»، ومسلم [٢١٨٤] «السلام».

(٥) رواه مسلم [٢١٧٩] «السلام»، وأبو داود [٤٨٣٢عون] «الأدب».

obeikandl.com

قال: «سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»[١].

١٧- آداب السفر:

قال أحمد بن قدامة المقدسي: «السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه، أو الوصول إلى مرغوب إليه.

والسفر سفران: سفر بظاهر البدن عن الوطن، وسفر بسير القلب من أسفل سافلين إلى ملكوت السماوات، وهذا أشرف السفرين، فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقب الولادة، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء لازم درجة القصور، قانع برتبة النقص، ومستبدل بمتسع عرضه السماوات والأرض ظلمة السجن، وضيق الحبس.

ولم أر في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمام[٢]

وللسفر آداب معروفة:

فمن ذلك أن يستحضر نية صالحة في سفره كطلب العلم، أو الحج أو العمرة أو كفاية نفسه ومن يعولهم، وصيانتهم عن ذل السؤال.

۞ ومن ذلك أن لا يخاطر في سفره بدينه، كمن يسافر إلى بلاد الإباحية والفجور، والتبرج والسفور طلبًا للرزق، بل يسافر إلى بلاد المسلمين، وإلى أرض هي أقل فتنة حتى يسلم له دينه.

۞ ومن ذلك أن يرد المظالم، ويقضي الديون، ويعد النفقة لمن تلزمه نفقته.

---

(١) باختصار من «كيف نربي أولادنا إسلاميًا» [١٩٩-٢٠٠].

والحديث رواه أبو داود [٤٨٣٦عون] «الأدب»، والحاكم (١/ ٣٧٥) «الدعاء»، وقال الألباني: حسن صحيح - «صحيح أبي داود» رقم [٤٠٦٨].

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» [١١٩] ط. دار الإمام.

۞ ومن ذلك أن يستخير الله - عَزَّ وَجَلَّ - قبل سفره.

۞ ومن ذلك أن يختار صحبة طيبة، ولا يسافر وحده، فالمسافر شيطان، والمسافران شيطانان، والثلاث ركب.

۞ ومن ذلك أن لا يهمل أذكار وأدعية السفر.

١٨- آداب الكسب والمعاش:

قال العلامة جمال الدين القاسمي في فضل الكسب والحث عليه: «أما من الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، فذكره في معرض الامتنان، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وأما الأخبار فمنها قوله ﷺ: «لئن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلًا أعطاه الله من فضله، أعطاه أو منعه»(١).

وقال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا، لا في أمر دنياه ولا في أخرته».

فمن آداب الكسب أن ينوي العبد الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم،واستعانة بما يكسبه على الدين، وقيامًا بكفاية العيال، ليكون من جملة المجاهدين به، ولينو النصح للمسلمين، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه، ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٣) «الزكاة»، ومسلم [١٠٤٢] «الزكاة».

obeikandl.com

وأن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات ولا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧][(١)].

وينبغي عليه أن يتحرى الحلال من الرزق، فإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

قالوا: من أكل حلالًا فعل الطاعات، ومن أكل حرامًا فعل المعاصي ومن أكل من الشبهات وقع في الشبهات.

وينبغي عليه أن يراقب الله تعالى في عمله، ويحسن إلى خلقه، وأن يوفي بما تعاقد عليه في عمله فقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

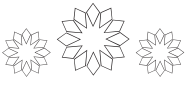

(١) بتصرف واختصار من «تهذيب موعظة المؤمنين» [١٥١-١٦٠].

obeikandl.com

obeikandl.com

[٦] التربية الجسدية الجهادية

قال الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: «من أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسميًا، وتكوينهم صحيًا، هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية، وتدريبات عسكرية، وتمرينات رياضية. كلما سنحت لذلك فرص، أو تهيأت ظروف.

وذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة وتعاليمه السامية جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء أو وفق بين مطالب الروح وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء.

والولد من حين يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي والتكوين الجسماني... بل هو أولى بملء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة وعلى أعضائه بالقوة، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط.

وذلك لثلاثة أسباب:

الأول- الفراغ الكثير المتيسر له.

الثاني- لوقايته من الأمراض والأسقام.

الثالث- لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة، وأعمال الجهاد»[(١)].

قال القاسمي: «يقول بعضهم: إن الرياضة الجسدية في الألعاب الرياضية صحية أخلاقية، إذ يستعان بها على صرف أهواء الشبان عما يضرهم، والأخذ بها إلى ما يفيدهم، فإن في النفس ميولًا متعددة، وأهواء متباينة كامنة، فما استُعمل منها نشط ونما وتغلب في مباينه، وأصبح ملكة راسخة، ولذلك يجب أن يعدل ميل الشبان ويصرف عن الضار

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٨٨٧).

إلى النافع، ويستعان بالألعاب الرياضية على ذلك، والألعاب الرياضية متعددة، وليست كلها نافعة، فعلينا أن نختار الأنفع منها للصحة»[١].

يقول الدكتور/ بدير محمد بدير: «وتهدف الرياضة إلى تنمية اللياقة البدنية، والنمو الجسمي للشباب، بما يكسبهم درجة عالية من التحمل لمشاق العمل، ومقاومة الإجهاد والتعب، وكذلك استثمار أوقات الفراغ بما يوظف طاقات الشباب، ويعمق في نفوسهم معاني الشجاعة والإقدام، فيكونوا قادرين على حماية مجتمعهم من الفساد والتحلل، ووطنهم من الغزو بأنواعه، ويقاس على ذلك أنواع الرياضة المستخدمة التي تربي أجسام الشباب، وتزيدها قوة ومتانة على هدى أوامر الإسلام، في أوقات الرياضة، وتعلم أنواع الرمي المختلفة، واستخدام أنواع الأسلحة المتعددة، وقيادة الطائرات والسفن الحربية، وكل أمر يتعلق بالإعداد الجسمي والنفسي والميداني للشباب.

إن الإسلام في حاجة إلى كيان سليم قوي فياض، متحرك، متمكن من الحياة، إن رسالته هي رسالة القوة في الحق، القوة في البناء والتعمير، القوة في حمل الأمانة، القوة في القيام بمقتضياتها، القوة في الجهاد في سبيلها، والمسلم المجاهد من أزهد الناس في متاع الحياة الدنيا وزينتها، إنما هي زهادة القوة، لا زهادة اللامبالاة»[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ثم قال: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[٣].

---

(١) «جوامع الآداب في أخلاق الأحباب» [٩١-٩٢].

(٢) «منهج السنة النبوية في تربية الإنسان» [١٠١].

(٣) رواه مسلم [١٩١٧] «الإمارة»، والترمذي [٣٠٨٣] «التفسير».

يقول المفكر الإسلامي/ سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في «الأرض» لتحرير «الإنسان» وأول ما تصنعه هذه القوة في جعل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها.

والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين، فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة.

والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها.

والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية لله وحده، ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه، إن الإسلام ليس نظامًا لاهوتيًا يتحقق بمجرد استقرار عقيدة في القلوب وتنظيمًا للشعائر، ثم تنتهي مهمته، إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات، وتقف وراءها قوى مادية، فلا مفر للإسلام لإقرار منهجه الرباني من تحطيم تلك القوى المادية وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى وتقاوم المنهج الرباني»[(١)].

وروى أحمد والبخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر على نفر من أسلم ينتصلون بالسوق - يتدربون على الرمي - فقال - صلوات الله وسلامه عليه -: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأنا مع بني فلان» فأمسك أحد الفريقين عن الرمي، فقال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما لكم لا ترمون؟» فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ارموا وأنا معكم كلكم»[(٢)].

---

(١) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٥٤٣، ١٥٤٤) ط. دار العلم بجدة.

(٢) رواه البخاري (٦/ ١٠٧) «الجهاد والسير»، وأحمد (٤/ ٥٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي أضمرت من الحيفاء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق(١).

قال النووي: «وفي الحديث جواز المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرها، وهما مجمع عليهما للمصلحة في ذلك، وتدريب الخيل ورياضتها وتمرنها على الجري، وإعدادها لذلك لينتفع بها عند الحاجة في القتال كرًا وفرًا»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، وكانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له (ناقة فتية) فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين، وقالوا: سبقت العضباء، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه»(٣).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله - عَزّ وَجَلّ - يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به ومنبله وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه، ونبله، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها - أو قال: كفرها».

وفي رواية: «كل شيء ليس من ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة»(٤).

(١) رواه البخاري (٦/ ٨٤) «الجهاد والسير»، ومسلم [١٨٧٠] «الإمارة».

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/ ١٤).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٨٦) «الجهاد والسير».

(٤) رواه الترمذي [١٦٣٧] «فضائل الجهاد»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود [٢٤٩٦عون] «الجهاد»، والنسائي (٦/ ٢٨) «الجهاد» مختصرًا لكن ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم [١٧٣٢] ولم أحذفه كعادتي لشهرته وللتنبيه عليه.

obeikandl.com

قال الخطابي: «وفي هذا بيان أن جميع أنواع اللهو محظورة، وإنما استثنى رسول الله ﷺ هذه الخِلال من جملة ما حرم منها، لأن كل واحد منها إذا تأملتها وجدتها معينة على حق، أو ذريعة إليه، ويدخل في معناها ما كان من المثاقفة بالسلاح، والشد على الأقدام، ونحوها مما يرتاض به الإنسان فيتوقح بذلك بدنه، ويتقوى به على مجالدة العدو، فأما سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو كالنرد والشطرنج والمزاجلة بالحمام وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق ولا يستخدم به لدرك واجب محظور كله»(١).

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثنا إذا أرهقني اللحم - أي: سمنت - سابقني فسبقني، فقال: «هذه بتلك»(٢).

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي: أما بعد: فعلموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل...

قال الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: «فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية، والتدريبات الجهادية من مصارعة، وعدو، ورماية، وفروسية من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة، وأن تتربى أفرادًا وجماعات على معاني القوة والفتوة والجهاد: تنفيذًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]».

وتحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»(٣).

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة الإسلام استعدت عسكريًا وحربيًا، وتكونت صحيًا وجسميًا، واكتملت إيمانيًا ونفسيًا وعزمت على الجهاد

(١) «معالم السنن» للخطابي (٣/ ٢٨-٢٩).

(٢) رواه أبو داود [٢٥٦١عون] «الأدب»، وصححه الألباني في «صحيح السنن» [٢٢٤٨]

(٣) رواه مسلم (١٦/ ٢١٥) «القدر»، وابن ماجه (٦٤) «المقدمة».

حركيًا وإراديًا.. فإنهم لا شك منهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوارة قبل أن ينهزموا في ميادين المُنازلة والجهاد، وهذا ما يعرف اليوم بالسلم المسلح، وهذا ما نوه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين قال: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر»[١].

وينبغي أن يُعلم أن الألعاب الرياضية المنتشرة في عصرنا الحاضر منها ما هو مباح أو مستحب، ومنها ما حرَّمه العلماء، فمن الرياضة التي حض عليها الشرع المناضلة وهي المسابقة بالرمي، وقد قال النبي ﷺ: «ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا»[٢]، ففي الحديث الحث على المناضلة وهي الرمي بالنشاب وغيره، وكذا السباق، وبيان أن الرمي أحب إلى الشارع وقال النبي ﷺ: «ألا إنما القوة الرمي»[٣].

ومن ذلك سباق الخيل كما سابق النبي ﷺ بين الخيل المضمرة وغير المضمرة.

وكانت العضباء ناقة رسول الله ﷺ لا تُسْبَقُ، حتى أتى أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها، ولما اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ طيب خاطرهم بقوله: «إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا في الدنيا إلا وضعه».

وكذا سابق النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها فسبقها، فقال: «هذه بتلك»[٤].

وسابق سلمة بن الأكوع أحد الصحابة على مرأى من رسول الله ﷺ فسبقه. كما في «صحيح مسلم»[٥].

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٨٨٩-٨٩٠)، والحديث رواه البخاري (١/ ٤٣٦) «التيمم»، ومسلم (٤،٣،٥) «المساجد».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سق تخريجه.

(٥) رواه مسلم (١٢/ ١٧٧-١٨٣) «الجهاد».

obeikandl.com

ومن الرياضة المشروعة كذلك المصارعة التي ليس فيها إيذاء، فقد صارع النبي ﷺ ركانة وصرعه، أما ما يسمى بالمصارعة الحرة والتي يستبيح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به فغير جائزة، لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»(١).

ومن الرياضة المستحبة السباحة، وكان الأقدمون يهتمون بأمر السباحة اهتمامًا عظيمًا لأنها تقوي العضلات وتنشطها دون أن تُتعب البدن تعبًا شديدًا وهذا الفن هو بدون شك من أقوى المروضات البدنية، فالسباحة تجمع بين الرياضة والنظافة(٢).

ومن الرياضة المباحة صيد البر والبحر، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

والصيد إما بالآلة الجارحة كالسهام، وإما بالحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهد من سِباع البهائم أو البازي والصقر من سِباع الطيور قال تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤](٣).

ومن ذلك اللعب بالحراب، وقد أَذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مَسجده الشريف، وأَذِن لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم، وكذا كمال الأجسام ورفع الأثقال.

أما اللعب بالكرة، والملاكمة، والمصارعة الحرة، ومصارعة الثيران، والمشي على الحبال، واللعب بالطاولة (النرد)، والشطرنج، فقد أفتى العلماء بِحُرمتها، وأسباب التحريم مختلفة.

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» مرسلًا (٢/ ٧٤٥) «الأقضية» وخلاصة القول فيه أنه صحيح بطرقه وقد احتج به جماهير أهل العلم، وانظر: «تحقيق جامع الأصول» (هامش٦/ ٦٤٤، ٦٤٥).

(٢) «جوامع الآداب في أخلاق الأحباب» بتصرف [٩٤].

(٣) انظر: «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٩٣٨).

وينبغي أن ينبه أيضًا على أن الألعاب المباحة يشترط فيها أن لا تتضمن مخالفات شرعية، ككشف العورات، والانشغال الكثير بها إلى درجة شغل القلب بها وكذا إضاعة الواجبات الشرعية كالصلاة، والله أعلى وأعلم.

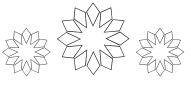

obeikandl.com

[٧] التربية على العفة والاستعفاف

والعفة: هي الكف عما لا يحل ولا يجمل.

والاستعفاف: طلب العفاف، وهو الكف عن الحرام.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣].

وقال ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله»[(١)].

والعفة خلق إيماني رفيع، زينة للرجل المسلم والمرأة المسلمة في الدنيا والآخرة، يحفظان به إيمانهما، ويضمنان به استقامتهما، ويستجلبان به رضا ربهما، ويعتصمان به من معاصيه وسخطه، ويحفظان به شبابهما وصحتهما.

ومما يدل على فضل العفة والاستعفاف قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

قال الزمخشري: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ وليجتهد في العفة وظلف النفس[(٢)]. كأن المستعفف طال من نفسهِ العفاف، وحاملها عليه ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوج، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ ترجية للمستعففين، وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأمله لطفًا لهم في استعفافهم، وربطًا على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء، وأدنى من الصلحاء[(٣)].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٢) «الزكاة، ومسلم [١٠٥٣] «الزكاة».

(٢) ظلف النفس: أي منعها.

(٣) «الكشاف» (٣/ ٢٣٧-٢٣٨)، للزمخشري. ط. دار الريان للتراث.

obeikandl.com

ومن الآيات الكريمة في الحَضِّ على العفة وبيان سبيلها قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

فغض البصر طلب للعفة، لأن غضه وسيلة إلى حفظ الفرج، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ومن الآيات التي تحض على العفة وتمدح أهلها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج: ٢٩-٣٠].

وكذا الآيات التي تحض على الزواج، فالزواج أغض للبصر وأحصن للفرج، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وكذا الآيات التي تحض على الحجاب، فإنها تحض على العفة والطهارة، وزكاة النفس وطهارة المجتمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩][1].

والشرع كله طهارة وعفة، وصيانة للقلب والجوارح، ومن سلَّم نفسه للشرع المتين تولى تطهيره وتطييبه وحمايته ورعايته، فليس على المؤمن إلا أن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل، فالإسلام يحرم على المسلم النظر إلى الأجنبية، والخلوة بها، ومصافحتها والدخول عليها، والسفر بها، ويحرم على المرأة التبرج، والخضوع بالقول، والتطيب خارج بيتها، فيكون بين المسلم الملتزم بالشرع وبين الفاحشة أبواب كثيرة مغلقة، وقد قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

---

(١) «الكشاف» (٣/ ٢٣٧-٢٣٨)، للزمخشري. ط. دار الريان للتراث.

فحرم الزنا وكذا الذرائع والطرق الموصلة إليه، فالنظر المحرم والخلوة المحرمة، والسفر المحرم كل ذلك يقرب من الفاحشة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويكفي في قبح الزنا أن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مع كمال رحمته شرع فيه أفحش القتلات وأصعبها وأفضحها، وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله، ومن قُبحه أن الله سبحانه فطر عليه بعض الحيوان البهيم الذي لا عقل له، كما ذكر البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن ميمون الأودي قال: رأيت في الجاهلية قردًا زنى بقردة فاجتمع عليهم القرود فرجموهما حتى ماتا، وكنت فيمن رجمهما»[(١)].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ **ما ملخصه**: «والزنا يجمع خِلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الوَّرع، وفساد المروءة، وقلة الغِيرة، لا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا مُحافظة على صديق، ولا غَيرة تامة على أهله، ومن مُوجِباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله.

۞ **ومنها**: سوء الوجه وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين، من ظُلمة الوجه وطمس نوره.

۞ **ومنها**: الفقر اللازم.

۞ **ومنها**: أن يُذهب حرمة فاعله، ويُسقطه عن عين ربه ومن أعين عباده.

۞ **ومنها**: أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن.

۞ **ومنها**: أن يسلبه اسم المؤمن كما في «الصحيحين» عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[(٢)].

---

(١) «روضة المحبين» [٣٥٩]، والحديث رواه البخاري (٧/ ١٨٢) «مناقب الأنصار».

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٣٠) «الأشربة»، ومسلم (٢/ ٤١-٤٢) «الإيمان»، والترمذي [٢٦٢٥] «الإيمان».

oneikandi.com

۞ **ومنها**: أنه يعرض نفسه لسكنى التنور الذي رأى النبي ﷺ فيه الزناة والزواني[١].

۞ **ومنها**: أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف، ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزُّناة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

وقد حرم الله الجنة على كل خبيث، بل جعلها مأوى الطيبين ولا يدخلها إلا طيب.

۞ **ومنها**: الوحشة التي يجعلها الله - عَزَّ وَجَلَّ - في قلب الزاني وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي لقبه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش منه.

۞ **ومنها**: قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يرزق الحلاوة والمهابة.

۞ **ومنها**: أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، فلا يأمنه أحد على حرمته، ولا على ولده.

۞ **ومنها**: الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم.

۞ **ومنها**: ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط.

۞ ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور، وانشراح الصدر، وطيب العيش لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف ما حصل له، مع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته.

---

(١) كما في حديث سمرة بن جندب، رواه البخاري (٣/ ٢٥١-٢٥٢) «الجنائز».

obeikandl.com

۞ **ومنها**: أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحُور العين في المساكن الطيبة في جنات عدنٍ.

۞ **ومنها**: أن الزنا يُجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظُلم الخلق، وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسرًا إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر، وأشرك وهو يدري أو لا يدري فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها ومعها ويتولد عنها أنواع أُخر من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها، وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع في حبائلها وشراكها عزَّ على الناصحين استنقاذه، وأعيا الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يفدى، وقتيلها لا يودي، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلى بها عبد فليودع نعم الله، فإنها ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾[1] [الرعد: ١١]

ومما يعين على تربية الشباب على العفة معرفته ثمرات العفة العاجلة والآجلة:

۞ **فمن ثمرتها**: طهارة الفرد، ونقاء المجتمع، فالعفيف يحيا حياة اجتماعية مستقرة، يتمتع بالسمعة الطيبة، والذكر الحسن، والزواج السعيد، ويهنأ بنفسية مُستقرة مطمئنة، يأنس بالطاعة وبهجة القرب من الله، ولذة العبادة وحلاوة الإيمان، ويسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة، بحيائه، وعفافه وحشمته وتقواه، وسَتره، وصبره، فقل لي بربك ألا يسعد المجتمع بأمثال هؤلاء، أم أن سعادة المجتمع في ذلك الذي استمرأ العيش في الظلام، وأكل اللحم الحرام، لا يرعى المحرمات، ولا هَم له إلا إشباع الشهوات[2].

---

(١) باختصار من «روضة المحبين» [٣٦٠-٣٦٣].

(٢) بتصرف من «العفة ومنهج الاستعفاف» [٩٨-٩٩].

۞ **ومن ثمراتها:** النجاة من الإصابة بالأمراض الخبيثة التي تلاحق أصحاب الشهوات والنزوات كالإيدز، والزهري، والسيلان نعوذ بالله من الخذلان.

۞ **ومن ثمراتها:** التدرب على مخالفة الهوى، والله - عَزَّ وَجَلَّ - لم يجعل للجنة طريقًا إلا في مخالفة الهوى، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازِعَات: ٤٠-٤١]، وقد حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات.

۞ **ومن ثمراتها:** التدرب على قوة الإرادة والعزيمة على فعل الطاعات وترك المعاصي، فمن استطاع مخالفة هوى نفسه تقوى إرادته في سائر الطاعات، وكذا يقوى على قهر نفسه وكفها عن سائر المعاصي، أما من اتبع هوى نفسه، وخالف مقتضى العفة والاستعفاف، فإنه تقوى عليه نفسه في سائر الميادين، فلا تراه يصمد أمام عدو، أو يصبر إذا تعرض لبلاء، أو يثبت إذا تعرض لفتنة النساء.

۞ **ومن ثمراتها:** أن يطمئن المؤمن على إيمانه وإخلاصه لله - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤].

روي عن عبد الله بن عمر قال: «صِدق الإيمان أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء فيدعها لا يدعها إلا لله». قوله: «يخلو» لا يقصد به أنه يتعمد الخلوة، ولكن المقصود إذا خلا بها في ظروف من الظروف والله أعلم.

۞ **ومن ثمراتها:** أن يصون العبد عرضه، فمن حافظ على أعراض الناس حفظ الله عرضه، ومن عبث بأعراض الناس عبث الناس بعِرضِه، والجزاء من جنس العمل، وقد قيل: من كان يحرص على عِرضِه فليحرص على أعراض الناس، وكل دين لابد له من وفاء، ودين الأعراض وفاؤه الأعراض، والمرء يهتك عِرضِه حين يهتك أعراض الناس.

۞ **ومن ثمرات العفة:** الوصول إلى الزواج المثالي: فإن الشاب الذي أرخى العنان لشهواته، وتعود على تدنيس الأعراض، وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفاسد، لن

يطيق صبرًا عنها وإن تزوج، إلا أن يتوب، ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك الفتاة التي خرجت من حصنها العفيف، وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها إلا بعد توبة نصوح، أما أهل العفاف من الرجال والنساء، فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين، ويرى كل منهما في الآخر الحب المخلص، والمنحة الأبدية، وعنوان الرخاء فيتعلق كل منهما بالآخر إلى النهاية.

❁ **ومن ثمراتها**: أن يستظل العبد العفيف بظل عرش الرحمن يوم القيامة، كما في قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»... وفيه: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله»[١].

قال النووي: «وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لاسيما وهي داعية إلى نفسها، طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى - وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال - من أكمل المناصب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله»[٢].

الطريق إلى العفة:

فمن أراد الوصول إلى هدف سام ينبغي عليه أن يسلك الطريق الموصلة إليه، وأن يأخذ بأسباب تحصيله فما هي الأسباب الموصلة إلى العفة وبمعنى آخر كيف يكون الاستعفاف، وهو طلب العفة؟

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٦٨) «الأذان»، ومسلم رقم [١٠٣١] «الزكاة».

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ١٧١).

وهذه جملة أسباب بحسب الاجتهاد لا الحصر:

١- تقوية الإيمان فمهما ضعف إيمان العبد صار لا يتورع عن المعاصي والشُّبهات، ويتكاسل عن الطاعات الواجبات: وقد قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن...»(١).

فإذا كانت شجرة الإيمان ضعيفة في قلب العبد فإنها لا تثبت إذا أتتها عواصف الشهوات أو الشبهات، فمن أراد الثبات على الإيمان والبعد عن معصية الملك الديان فعليه بتقوية شجرة الإيمان وإحياء وازع التقوى، واستشعار مراقبة الله - عَزَّ وَجَلَّ - له، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقال النبي ﷺ في بيان درجة الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فتعلم أن الله يراك»(٢).

ومهما استشعر القلب حلاوة الإيمان والمراقبة فإنه يستحي من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه:

إذا ما خلوت الدهر فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

راود رجل أعرابية في ليلة شديدة الظلمة، وقال لها: والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مكوكبها؟ والتقوى هي علم القلب بقرب الرب.

٢- إحياء الآداب الإسلامية كآداب النظر والخلطة والاستئذان: فمهما أهمل العبد هذه الآداب الإسلامية دخل عليه الشر، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته.

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٣) «الأشربة»، ومسلم (١٢/ ٤١) «الإيمان».

(٢) رواه البخاري (١/ ٩١١٤) «الإيمان»، ومسلم (١/ ١٥٧-١٦٠) «الإيمان».

obeikandl.com

قال بعضهم:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الناس موقوف على خطر

يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

وكذا البعد عن أماكن الاختلاط والفجور، والتبرج والسفور، ومخالطة أصحاب الشهوات، والمعرضين عن طاعة رب الأرض والسماوات، فإن في خلطة هؤلاء ترغيبًا في الدنيا الدنية والشهوات الدنيوية، أما مخالطة أهل الزهد والورع والرغبة في الآخرة، فإنها ترغب في ما عند الله من نعيم وتزهد في زينة الدنيا الفانية.

وكذا مراعاة آداب الاستئذان، فلا يهجم على أحد بغير استئذان ولا يقف أمام الباب عند الاستئذان حتى لا تقع عينه على عورة غافلة وقد قدمنا في باب التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية هذه الآداب بشيء من الإسهاب فلا نطيل بذكرها والله الهادي.

٣- البعد عن المثيرات الجنسية:

قال الدكتور/ عبد الله ناصح علوان: «من المسئوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنب ولده ما يثيره جنسيًا ويفسده خلقيًا، وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة، وهو السن الذي يتراوح ما بين العاشرة إلى البلوغ.

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فإذا عرف المربي كيف يربي الولد، وكيف ينتشله من أوحال الفساد وبيئات الانحلال؟ وكيف يوجهه التوجيه الأمثل فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل، والأدب الرفيع، والتربية الإسلامية السامية»[(١)].

۞ **فمن المثيرات الجنسية التي ينبغي أن يتجنبها الشاب:** أماكن التبرج والتهتك والسفور. كالأسواق، والبلاجات، وأماكن اللهو والمتنزهات.

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٥٢٣).

۞ **ومن المثيرات الجنسية**: الصور الفاضحة التي تمتلئ بها الجرائد والمجلات التي يقوم عليها تجار الشهوات، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

۞ ومن ذلك المسلسلات الهابطة والأفلام الساقطة التي تعرض على شاشة التلفاز والفيديو وأجهزة استقبال البث المباشر، التي تنقل إلى بيوت المسلمين الحياة الغربية العفنة التي مات فيها الحياء، وذهبت الغيرة، وضاعت الأخلاق، واختفت معاني الشرف والمروءة، وصار الناس أضل من البهائم: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، فإذا ألف الناس رؤية المتبرجات والمتهتكات ورؤية الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء، فإنهم لا يستقبحون القبيح، ولا ينكرون المنكر، فينبغي أن يصون المسلم سمعه وبصره وجوارحه من كل ما يثيره، حتى يحيا حياة عفيفة طاهرة مطمئنة نظيفة.

قال في تربية المراهق في رحاب الإسلام: «ومن أجل منع الإثارة الجنسية أوجب الإسلام على المرأة إذا بلغت سن الرشد الالتزام بالحجاب عند خروجها، وجعل للعورة حدودًا فلا يكشف من المرأة ما يثير فتنة، ولا يظهر شيئًا من حسن أو جمال، وجعل لباس المرأة لا يصف الجسم، ولا يشف عنه. قال عليه الصلاة والسلام: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها توجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

---

(١) «تربية المراهق» [١٠٩]، والحديث رواه مسلم [٢١٢٨] «اللباس».

وقال النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين.

قيل: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها: وقيل: تستر بدنها وتكشف بعضه إظهارًا بحالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها، وأما مائلات فقيل معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم. «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤/ ٩٥٦).

٤- التبكير بالزواج:

عملاً بقول النبي ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١].

فإذا بلغت الفتاة سن الزواج، وتقدم لها من هو كفؤ لها، فعلى وليها أن يبادر بتزويجها، وكذا الشاب إذا كان عنده مؤن الزواج أو يملك والده أن يزوجه فعليه أن يبادر إلى تزويجه، فإن الزواج أغض للبصر، وأحصن للفرج، وإن لم يفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

يقول الدكتور/ بدير محمد بدير: «حثت السنة المطهرة على المسارعة بتزويج الشباب، فالزواج سبب من أسباب الاستقرار النفسي والإشباع الغريزي الفطري عن طريق نظيف مشروع، وذلك حتى يسلم الشباب من الانحلال الخلقي، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام، وتفشي الأمراض الفتاكة بطاقة الشباب من التي تقضي على النسل، وتوهي القوة، وتنشر الوباء، وتكون سبب العداوة والبغضاء»[٢].

ويقول الدكتور/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي ما ملخصه: «وهكذا نجد أن الإشباع الغريزي حاجة ملحة في مرحلة المراهقة، وأن النضج المبكر يقتضي الإشباع المبكر، ويكون ذلك بالزواج المبكر، والزواج المبكر هو الأصل والطريق الطبيعي الفطري لتلبية الحاجة الغريزية والشوق والميل إلى الجنس الآخر بسبب هذه الحاجة الملحة، والأسباب الأخرى أمر يقعده المنهج الإسلامي ويؤصله، ويبين الأسلوب الناجح في إشباعه وتوجيهه، وقد سبقت الإشارة إلى أن المنهج الإسلامي منهج فطري واقعي في كل مطالبه وتشريعاته»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٤٢) «الصوم»، ومسلم [١٤٠٠] «النكاح».

(٢) «منهج السنة في تربية الإنسان» [١١٩].

(٣) «المراهقون دراسة نفسية إسلامية للآباء والمعلمين والدعاة» [٨٧-٨٨] ط. طيبة.

obeikandi.com

٥- اختيار الصحبة الصالحة التي ترشد إلى الخير وتعين عليه وتحذر من الشر وتمنع منه: فمن أراد سلامة دينه ودنياه وصيانة نفسه وعفتها وكرامتها فعليه بالانضمام إلى رفقة صالحة تؤنسه في غربته، وتعينه على طاعته فليس شيء أنفع للعبد من مجالسة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وليس شيء أضر على العبد من مجالسة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم، وقد قال النبي ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تشم منه رائحة طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تشم منه رائحة خبيثة»[(١)].

فمن وُفق للصحبة الصالحة أخذت بيده إلى طريق العِفة والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن سقط في رفقة فاسدة أضاعت عليه دنياه وآخرته، ولم ينل منهما إلا الصفقة الخاسرة والتجارة البائرة.

يقول الأستاذ/ محمد حامد الناصر: «ولعظم الأثر الذي تحدثه الرفقة ووضوح هذا التأثير في شخصية الصديق وسماته صار المربون والمجربون يعرفون المرء من رفقائه وجلسائه ويقومونه بمعرفتهم لأصدقائه وقرنائه، وقد جاء في الأثر: وإياك وقرين السوء فإنه به تعرف».

ونادى الحكماء باستخدام هذا المقياس الدقيق للتعرف على شخصية الإنسان وشمائله.

حتى قال بعضهم[(٢)]:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تربية المراهق في رحاب الإسلام» [٢٤٨] ط. رمادي للنشر وابن حزم.

٦- ومما يعين على العفة التسامي والاستعفاف:

عملًا بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

وبقول النبي ﷺ: «ومن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فإنه له وجاء..»[(١)].

والمقصود بالتسامي والاستعفاف، هو أن يجتهد المسلم بكل طاقته في العبادة والطاعة والدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأن يكثر من الصيام الذي يكسر الشهوة، وتذل به النفس، فيقوى عليها المؤمن ويطوعها لله - عَزَّ وَجَلَّ -، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فإذا لم يبذل العبد جهده ووقته في الطاعة والدعوة والرياضة المباحة شغلته نفسه بالباطل والمعاصي، وقد وعد الله من سلك طريق العفة والاستعفاف بتسهيل طريق الزواج الذي يشبع فيه العبد نفسه بما شرعه الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأحله، فقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

قال الدكتور/ عبد الله ناصح علوان ما ملخصه: «فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي، أو عقلي أو قلبي أو جسدي، يستنفذ هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل، والانغماس في البحث، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة، والعناية بالتربية الدينية، أو البطولة الرياضية»[(٢)].

٧- ومما يعين على العفة معرفة بعض المواقف الإيمانية في العفة والاستعفاف:

كموقف نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وعفته من امرأة العزيز، وهي التي راودته عن نفسه وهو في بيتها، وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك، فاعتصم بالإيمان ولجأ إلى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تربية الأولاد» (١/ ٥٩٣).

الرحمن، وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يُوسُفَ:٢٣]، ولما كثر الكيد عليه من امرأة العزيز ونساء المدينة استعان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - عليهن وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يُوسُفَ:٣٣].

ومن ذلك قصة مرثد بن أبي مرثد الصحابي رضي الله عنه، وغير ذلك من المواقف الإيمانية الشريفة، وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتاب «مواقف إيمانية» فلا نطيل بإعادة ذكرها والله المستعان.

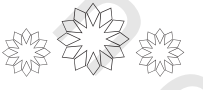

obeikandl.com